

الرد الشرعي المحقول
على
المتصل المجهول



الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله ، وعلى آله وصحبه وبعد . . .

فإن الباعث على هذا الرد ، هو ما كتبه إليّ أحد الأقرباء بقوله :

فضيلة الشيخ أحمد بن يحيى النجمي - حفظه الله - .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . . وبعد :

فقد كلمني رجل لا أدري من هو ، ولا من أي مكان هو ، لأنه كلمني بالتليفون ، وأبى أن يفصح عن اسمه ومكانه ، وسألني بقوله : أنت قريب للشيخ أحمد النجمي ؟ قلت : نعم ، قال : نريد منك أن توصل له هذه الرسالة وهي في حكم النصيحة .

قلت له : أنظر في الأمر مراعاة للأدب مع العلماء . فقال : إن للشيخ مكانة كبيرة في قلوبنا نحن الشباب ، وكذلك في قلوب العامة باعتباره فقيهاً محدثاً ومفتياً آتاه الله من العلم ما يعلمه الجميع ، إلا أنه لوحظ عليه في الفترة الأخيرة ، كثرة تركيزه على أسلوب الحديث عن الجماعات والأحزاب وما إلى ذلك ، مما لا يستفيد منه الشباب ، ولا يفهمه كثير منهم ، ولا من العامة .

وهذا أسلوب لم يتبعه كبار علمائنا مثل الشيخ / عبد العزيز بن باز ، والشيخ / محمد بن صالح العثيمين ، والشيخ / صالح الفوزان ، ونحن نعتبره من هؤلاء ، ومكانته لدينا مثل مكانتهم ، ولقد تتبعنا معظم أشرطتهم ، وكتبهم ، ومحاضراتهم فلم نجد إلا اليسير جداً في هذا الموضوع ، حسب ما تقتضيه الحاجة فقط ، أو ردّاً على الأسئلة في حدودها .

ولا أخفيك أن تركيز الشيخ على هذه المواضيع أثرت على مكانته في قلوب كثير من الناس ، قد يصل الحد عند ضعفاء النفوس ، وبعض الجهلة ، أنه يسقط من أعينهم .

لذا نرغب أن تبلغ الشيخ، أننا نرغب منه أن يترك هذا الأسلوب غير اللائق بمثله، وإذا سئل عن شيء من هذا، فليجب بما يراه في حدود السؤال فقط. انتهى معنى الرسالة.

فضيلة الشيخ، لقد ترددت كثيراً في حمل هذا الكلام إليكم، لعلمي أن صغار الطلبة -إن صح التعبير- لا ينبغي لهم التقدم بين يدي علمائهم في مثل هذه الأمور. ولكني رأيت مؤخراً أن أكتب لك الموضوع كتابة لأتمكن من نقل الفكرة بدقة، وللإحاطة ببعض مرئيات الكثير من الشباب، طمعاً في كلمة توجيهية، إن هم أخطئوا في ذلك، أو إبداء وجهة نظركم التي ترونها، وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه والسلام.

كتبه أبو محمد في ٩ / ٦ / ١٤١٧هـ.

بدء الجواب

وأقول: بعد حمد لله، والصلاة والسلام على نبيه المبعوث رحمة للعالمين، وحجة على المعاندين المعرضين، عن نهجه المتبعين لغير سبيله وسبيل المؤمنين قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

أما بعد: فإني أحمل هذا المتصل المجهول، الذي أبى أن يسمي نفسه، أحمله على السلامة، وأنه إنما حملة على هذه النصيحة الإشفاق على المنصوح حسب زعمه من أذية الحزبيين أصحاب المناهج الحزبية المبتدعة، لأنهم من عاداتهم أنهم يتحمسون لنصرة منهجهم الباطل فيؤذون من انتقده، وهذه عادة أهل الباطل في كل زمان ومكان، من عهد نوح إلى يومنا هذا، قال الله تعالى عن قوم نوح: ﴿قَالُوا لَنْ نَمُوتَ نَتَنَحَّيْ نَمُوتُ لَنَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ﴾ وقال موسى ﷺ: ﴿وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ﴾ وإن لم تؤمنوا لي فأعزّلون مع أن المتبادر إلى الذهن، هو أن هذا المتصل هو نفسه من الحزبيين، وأنه إنما أراد بفضيحته هذه التي سماها نصيحة، إنما أراد بها التهديد وعلى كلا الاحتمالين، فأنا متوكل على الله مؤمن بقضائه وقدره، لا يمنعني من النصح إن شاء الله تهديد ولا وعيد، وأسأل الله أن يوفقني إلى أداء النصيحة إخلاصاً له، وعملاً بطاعته وامثالاً لأمره، وحرصاً على نيل رضاه -جلّ وعلا- حتى ألقاه. وإنما سميتها فضيحة لأمرين:

الأمر الأول: أن هذا المتصل أبان عن نفسه، بنصيحته المزعومة، أنه من الحزبيين فهو بذلك قد فضح نفسه بنفسه.

الأمر الثاني: إنه يريد مني أن أترك النصيحة، فنصيحته ألا أنصح وألا أبين الحق لمن يجهله، فهذه فضيحة وليست نصيحة، لأن النصيحة هي قول الحق، وليست السكوت عنه وترك بيانه، ومن ناحية أخرى هذه النصيحة مخالفة لما أمر الله به ورسوله، والله ﷻ أمر ببيان الحق ونهى عن كتمانها، حذر من كتمان الحق ولعن فاعله في غير ما آية فقال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ

لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنُّوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ لكن هذا المتصل يقول: اسكت عن بيان الحق، ويزعم بأن هذه نصيحة، فهل ترون أن الأجدر بها أن يقال لها نصيحة أو يقال لها فضيحة؟ أترك الحكم للقارئ.

ومن المعلوم عند كل مسلم له حظ من دين أو إثارة من علم، وعنده مسكة من عقل، أن الله ﷻ أوجب على أهل العلم أن يبينوا للناس الحق من الباطل، والحلال من الحرام، والصواب من الخطأ، وأن يدعوهم إلى سبيله ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة. ولقد أثنى الله ﷻ على هذه الأمة وأثبت لها الخيرية على سائر الأمم لأن من أبرز صفاتها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله، وأن من نصح ألا ينصحوا قد حاول سلب الأمة من أبرز صفاتها الخيرية وهو جدير بأن يقال له: اسكت قطع الله لسانك وشل بنانك، لأنك تأمر بضد ما أمر الله به في كتابه، وعلى لسان نبيه ﷺ، ألم تسمع ربك ﷻ يقول: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَأَشْرَوْا بِهِ مِمَّا قَلِيلًا فِئْسَ مَا يَشْتُرُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَشْتُرُونَ بِهِ مِمَّا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ ﴿١٧٦﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٧﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِي الْكِتَابِ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٨﴾.

فهذه الآيات التي نزلت في أهل الكتاب، الذين كتموا ما عندهم من العلم، بصفة النبي ﷺ فاستحقوا لذلك غضب الله ومقته وعذابه.

قال الحافظ ابن كثير في تفسير الآيات من سورة البقرة: إنما استحقوا هذا العذاب الشديد، لأن الله تعالى أنزل على رسوله محمد ﷺ، وعلى الأنبياء قبله كتبه، بتحقيق الحق وإبطال الباطل وهؤلاء اتخذوا آيات الله هزواً، فكتابهم يأمرهم بإظهار العلم ونشره فخالفوه وكذبوه، وهذا الرسول الخاتم يدعوهم إلى الله تعالى، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر، وهم يكذبونه، ويجحدونه، ويكتمون صفته.

قلت: وليس هذا الحكم، وهو ذم الكاتمين ولعنهم وتوعدهم بالعذاب المهين، ليس خاصًا بأهل الكتاب بل هو عام في كل من عنده علم شرعي مأخوذ من كتب الله، بواسطة رسله، ثم كتبه عن الناس ولم يعلمهم إياه، ولم ينصحهم به؛ فإنه داخل في هذا الوعيد، ومتوعد بلعن الله له، ولعن كل لاعن من الملائكة والإنس والجن وغيرهم.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعْنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَيَّنَّاهُ فَأُولَٰئِكَ أُنُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. وهذا الخطاب عام لأهل الكتاب وغيرهم، ونحن المخاطبون به داخلون فيه دخولًا أوليًا، وقد قال رسول الله ﷺ: «الدين النصيحة، الدين النصيحة، الدين النصيحة، قالوا: لمن يا رسول الله؟ قال: لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم»^(١).

أفتريد مني يا هذا المجهول، أن أترك ما دلت عليه هذه النصوص من الله ورسوله، وأسكت عن أصحاب المناهج المبتدعة، بعد أن عرفتهم وعرفت مناهجهم بما فيها من أخطاء فاحشة، ومن شراكيات، وبدع وضلالات؟... هذا لا يكون إن شاء الله أبدًا، بل سأمضي في بيان النصيحة بحول الله وقوته، وأسأل الله الثبات على ذلك حتى ألقاه.

لا سبيل إلى السكوت بعد معرفة ما في المنهج الإخواني من شرك وبدع

لقد عرفت تلك المناهج بعبجرتها وبجورها كما قيل... عرفت بها بشركها وبدعها وبضلالها فكيف أسكت؟... كيف أسكت على منهج مؤسسه يقول:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

فهو يزعم أن رسول الله ﷺ يحضر معهم حفلهم البدعي، ويسامحهم فيما قد

(١) أخرجه مسلم (٥٥) من حديث تميم الداري رضي الله عنه.

مضى وجرى من الذنوب، ويسامحهم ويغفر لهم ذنوبهم، هذا زعم المؤسس لمنهج الإخوان حسن البناء، وزعم النحلة الصوفية وأصحابها، والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ اللَّهُ ذُنُوبَكُمْ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. استفهام إنكاري، أي: لا أحد يغفر الذنوب إلا الله، ويدخل في هذا الرسول ﷺ وغيره. وقد قال تعالى عن المنافقين: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾ والنبي ﷺ يقول لأقرب الناس إليه: «اشتروا أنفسكم من الله لا أعني عنكم من الله شيئاً»^(١). وفي ذكر الركوب في السفر: «علم عبدي أن له رباً يغفر الذنب ويأخذ به»^(٢).

كيف أسكت وهو الذي يقول في نشيد له:

الله قل وذر الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كماله
فجميع ما في الكون إن حققته عدم على التفصيل والإجمالي
وهذان البيتان ينضحان بوحدة الوجود.

كيف أسكت على هذه الطوام؟ كيف أسكت ومؤسس هذا المنهج يثني على المرغني الغارق في وحدة الوجود، ويقول: «إن الإخوان مدينون للطريقة المرغنية وأصحابها بدين قديم؟»

انظره في كتاب قافلة الإخوان المسلمون الجزء الأول (ص ٢٥٩).

كيف أسكت عن منهج يقول مؤسسه: «ليس بيننا وبين اليهود عداوة دينية؟» أترون أنه يجوز السكوت على هذه البلاوي والطوام؟

بل كيف أسكت عن منهج مرشده يقول: «إن دعوة الأولياء في قبورهم ليس فيها شرك ولا وثنية». وهذا المرشد هو عمر التلمساني في كتابه (شهيد المحراب) يقول هذا ولا أدري بم يحكم أصحاب المنهج الإخواني وولائده على من يقول: «إن دعاء

(١) أخرجه البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٢٠٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٧٥٠٧)، ومسلم (٢٧٥٨) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

الأموات - فيما لا يقدر عليه إلا الله - ليس فيه شرك ولا وثنية»، هل سיתركون العقيدة التي درسوها منذ نعومة أظافرهم، من أجل انتمائهم للمنهج الإخواني وموالاتهم لحزبه؟ أم أنهم سيحكمون بالعقيدة التي درسوها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ حيث يقول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾. قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذَا مِنْ الظَّالِمِينَ﴾. والمراد بالظلم الشرك الأكبر، المخرج من الإسلام، بدليل أن الآية التي قبل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبْ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وقال في سورة الزمر: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. فالله تعالى سمى من يدعو غيره ظالمًا وكافرًا ومشركًا وخاسرًا، فماذا بقي يا عباد الله؟ هل بقي عليكم لبس في الحكم على من دعا غير الله بالكفر!!

أما السنة ففي الحديث الصحيح: «الدعاء هو العبادة»^(١). وفي السنن أيضًا «الدعاء مخ العبادة»^(٢). وبعد هذا هل تصدقون الله ﷻ في أن من دعا غير الله، يطلب منه جلب النفع أو دفع الضر فهو مشرك شركًا أكبر مخرجًا من الملة، كافر بوحدانية الله، وظالم أعظم الظلم، وخاسر أفظع الخسران، أو تصدقون التلمساني الذي يقول: «إن دعاء الأموات ليس فيه شرك ولا وثنية؟».

ويقول أحد منظري المنهج الإخواني، سعيد حوى ما نصه: «إن من كرامة الله لأصحاب الطريقة الرفاعية، أن الواحد منهم يُضرب بالشيش أو السيف من ظهره حتى ينفذ من صدره ثم يسحب منه ولا جرح ولا ضرر».

قلت: هل أصحاب الطريقة الرفاعية أفضل من رسول الله ﷺ حين ضرب على رأسه في غزوة أحد فَعَاَصَتْ حَلَقَتَا الْمُغْفَرِ فِي وَجْنَتَيْهِ فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ فَقَالَ:

(١) أخرجه أبو داود (١٤٧٩)، والترمذي (٢٩٦٩)، وابن ماجه (٣٨٢٨) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٤٠٧).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٣٧١) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع (٣٠٠٣).

«كيف يفلح قوم خَضَبُوا وَجْهَ نبيهم بالدم؟»^(١).

أما أصحاب الطريقة الرفاعية فيطعن أحدهم بالسيف، أو غيره من ظهره حتى ينفذ من صدره والعكس، ثم يسحب، ولا دم يسيل ولا جرح يفتح، سبحان الله!!!، أتقاس الشعوذة بالنبوة والسحر بالإيمان، والحق بالباطل أم ماذا؟ أترون السكوت عن بيان مثل هذا سائغاً؟ إن كنتم ترونه سائغاً فهاتوا برهانكم من كتاب الله أو سنة رسوله ﷺ إن كنتم صادقين.

وهذا مرشد الإخوان المسلمين في سوريا مصطفى السباعي، ينظم أبياتاً يستغيث فيها بالنبي ﷺ، ويطلب فيها شفاء مرضه فيقول:

يا سائق الظعن نحو البيت والحرم	ونحو طيبة تبغي سيد الأمم
إن كان سعيك للمختار نافلة	فسعي مثلي فرض عند ذي الهمم
يا سيدي يا حبيب الله جئت إلى	أعتاب بابك أشكو البرح من سقمي
يا سيدي قد تمادى السقم في جسدي	من شدة السقم لم أغفل ولم أنم

هذا هو مرشد الإخوان في سوريا، يستغيث بالرسول وينسى الله الذي أرسله بالتوحيد وقال له: ﴿وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكَتَ لَيَحْطَبَنَّ عَلَيْكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ وقال له: ﴿وَسَأَلَ مَن أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾.

فصل

أغيظكم أن يبين الحق؟

أقصروا أيها القوم، وتوبوا إلى الله من نصرة الباطل، أغيظكم أن يبين الحق للناس، ويزعجكم أن ينبري بعض إخوانكم لتوضيح العقيدة الصحيحة بالأدلة من الكتاب والسنة، فإن كان عندكم حجة في رد ما نقول، من القدح في هذه المناهج،

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٢٧) من حديث أنس رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

فهااتوا حجتكم التي تدحض حجتنا، وأدلتكم التي تبطل أدلتنا، وإلا فاعلموا أنكم تدفعون الحق نهاراً، وتدافعون عن الباطل جهاراً شتم أم أبيتم، رضيت أم سخطتم، وإني أخاف عليكم أن تكونوا قد دخلتم في عداد الصادين عن سبيل الله الذين ييغونها عوجاً والذين قال عنهم الله ﷻ: ﴿وَأَنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُّهْتَدُونَ﴾. ومن يقول عنهم: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ (١٠٣) الَّذِينَ ضَلَّ سَعِيَّهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾.

إلى أي شيء نحن ندعو؟

فنحن ندعو إلى التوحيد، ونحذر من الشرك، وأنتم إلى أي شيء تدعون؟ ومن أي شيء تحذرون؟

نحن ندعو إلى السنن، ونحذر من البدع، وأنتم إلى أي شيء تدعون؟ ومن أي شيء تحذرون؟

نحن ندعو إلى منهج الرسول ﷺ، الذي سار عليه في دعوته، وأنتم إلى منهج من تدعون؟ وعلى طريقة من تسرون؟

نحن ندعو إلى عقيدة السلف ومنهج السلف، وآثار السلف، وأنتم تدعون إلى من يرى الشرك عبادة مشروعة، والبدعة طاعة وقربة، وتعطيل الصفات توحيداً.

نحن ندعو إلى أخذ الحق من ينبوعه الصافي، ومعينه العذب، وسلسيله الفياض من كتاب الله وتفسيره بالأثر، وأخذ السنة من الكتب المخصصة لها، على طريقة المحدثين أصحاب الجرح والتعديل، وأنتم تدعون الشباب جميعاً إلى الضياع والإفلاس، والتغاضي عن الشرك والتعبد بالبدع.

فصل

أترضون لأنفسكم أن تكونوا دعاة إلى الباطل، ومدافعين عنه وعن أهله؟ أترضون لأنفسكم أن تكونوا معظمين لأهل الشرك والبدع، الذين يجب هجرهم، والبراءة من صنيعهم تقرباً إلى الله؟ أترضون لأنفسكم أن تكونوا متبعين لتشريع من

ليس بمعصوم، تاركين التشريع المعصوم، الذي شهد الله له بالعصمة فقال جل من قائل: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾.

أترضون لأنفسكم أن تكونوا متبعين لغير سبيل المؤمنين الموحدين، وأنتم تتلون قول الله ﷻ: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ ۖ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

أترؤن هذا منكم وفاءً لعقيدة التوحيد التي تعلمتموها أم ماذا؟.

فصل

ما هو الواجب على كل موحد؟

أليس الواجب على كل موحد أن يبرأ من المشركين متأسيًا بإبراهيم الخليل عليه السلام حيث يقول كما حكى الله عنه بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ۖ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ﴾ (٢٦) وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون. وتأسيًا بالنبي ﷺ حيث يقول: «ألا إن آل فلان، ليسوا لي بأولياء إنما أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا»^(١). أليس لكم في الخليلين أسوة، كما أمركم الله ﷻ بقوله: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾. لقد مدح الله ﷻ المؤمنين بالبراءة من المشركين والكافرين حيث يقول: ﴿لَا تَحِدْ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾.

لقد أمر الله عباده المؤمنين بالبراءة، من كل كافر ومشرك، سواء كان وثنيًا أو كتابيًا أو غير ذلك، وربى نبينا محمد ﷺ أتباعه على هذا النهج، فقال -صلوات الله وسلامه عليه- «لا تتراءى ناراها»^(٢) يعني: نار المسلمين والمشركين.

(١) أخرجه البخاري (٥٩٩٠)، ومسلم (٢١٥) من حديث عمرو بن العاص رضي الله عنه، ولفظه: «... ألا إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما وليي الله وصالح المؤمنين».

(٢) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) من حديث جرير بن عبد الله رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٤٦١).

وتابعه على ذلك أصحابه ، فكان الرجل منهم يُسَلِّمُ فينفضل عن أهله في النسب انفضالاً كلياً ، حتى قال المشركون : ما محمد إلا ساحر ، ألا ترون أنه يفرق بين المرء وزوجه ، وبين المرء ووالده وولده ، وبين المرء وعشيرته ، وفي حديث إسلام الطفيل ابن عمرو الدوسي ، حين قدم على أهله بعد إسلامه ، فجاء إليه أبوه ، فقال : إليك عني فلست منك ولست مني قال : وما ذاك؟ قال : إني أسلمت واتبعت دين محمد فقال : أي بني ديني دينك وكذا أمه فأسلما ، وفي قصة إسلام سعد بن أبي وقاص ، أن أم سعد وكان سعد قبل إسلامه برأ بها ، قالت له لما أسلم : لتدعن دينك هذا الذي أحدثت أو لا آكل ولا أشرب حتى أموت ، فتعير بي ، يقال قاتل أمه ، فقال سعد : يا أمه تعلمين والله لو كانت لك مائة نفس ، فخرجت نفساً نفساً ما تركت ديني إن شئت فكلني ، وإن شئت فلا تأكلني ، فأنزل الله ﷻ : ﴿وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ . انظر سير أعلام النبلاء (١ / ١٠٩) .

وفي قصة عاصم بن ثابت بن الأفلح الأنصاري الذي حلف حين أسلم ، ألا يمس مشركاً ولا يمسه مشركٌ ، ووفى في حياته فلما قتل في موقعة الرגיע ، أراد المشركون أن يأخذوا جثته فيبيعوها من مشركي قريش فأرسل الله ظلة من الدبر فحمته منهم ، ثم أرسل الله المطر فجاء السيل فاحتمل جثته فلم يدروا أين ذهبت ، هذه نماذج من براءة الصحابة من المشركين والمبتدعين ، ولكنكم قد عكستم القضية تبعاً لقادتكم ، الذين قلدتموهم وعظمتموهم ، فأنتم تتبرءون من الموحدين ، وتتولون المشركين .

ألم يعظم التنظيم الدولي للإخوان الرافضة ، ويحكم لهم بالإسلام دون سائر الدول ، ومنها المملكة العربية السعودية ، وهي الدولة الوحيدة التي قامت منذ قامت في أول عهد صقر الجزيرة الملك عبد العزيز ﷺ ، رحمة الأبرار الأخيار ، وتبعه على ذلك أبناؤه الكرام ، رحم الله من قدماء ، وحفظ من بقي وهي الدولة الوحيدة التي تحكم الشرع الإسلامي ، وتحكم به في محاكمها ، وهي الدولة الوحيدة التي ليس فيها أضرحة ولا مشاهد يدعى أصحابها ، ويدرس فيها التوحيد من أول سنة في الابتدائي إلى آخر سنة في الكلية ، ومع ذلك يقول التنظيم الدولي للإخوان : ولو كان

الأمر يخص إيران وحدها، لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها، ولكنه الإسلام وشعوبه في كل مكان وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي الوحيد في العالم، الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين، ليثبت حكم الله فوق حكم الحكام، وفوق حكم الاستعمار والصهيونية العالمية اهـ.

فانظر إليه، لم يثبت الإسلام إلا لدولة إيران، مع ما فيها من شركات، وعقائد فاسدة، أما السعودية التي قامت على التوحيد، من أول يومها وما زالت عليه حتى الآن، فقد أسقطها من الحساب، أهذا قول من يؤمن بالتوحيد وأنه لا يصح إيمان عبد إلا به، أ تكون الدولة، التي تكفر أبا بكر وعمر وسائر الصحابة، ما عدا علي بن أبي طالب وعدد معه يستثنونهم؛ أ تكون الدولة المسلمة دون السعودية، التي عاشت وما زالت على منهج السلف!!؟

فصل

إنَّ جَمْعَ البنا بين الأخطا المتضادة وزعمه أنهم كلهم مسلمون، يدل على جهله الغليظ بالتوحيد، وقد استنكره في هذا الصنيع كثير من الناس حتى ممن كانوا من أتباعه، انطلاقاً من المبدأ الذي أسسه، والذي يقول فيه: نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، فاسمع إلى محمد سرور زين العابدين الذي قضى في المنهج الإخواني عقداً من الزمن، يقول في نقده اللاذع للمنهج الإخواني: لم يعد عقلي يتصور وجود جماعة واحدة فيها السلفي، والصوفي، والأشعري، والخارجي، ودعاة الاعتزال والعقلانية وغير ذلك من الاتجاهات المختلفة المتباينة لقد سئمت من سياسة التجميع على أساس غير سليم، وصرت أعتقد فشل سياسة وتخطيط هذا الخليط من الخلائق وإن زعموا أنهم من النصر قاب قوسين أو أدنى، ومللت من ترداد من حولي ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه، كيف يعذر بعضنا بعضاً في اختلاف التضاد وهذا الإعذار يعني أنه لا فرق يستحق الذكر بين السلفيين وأهل الاعتزال وغيرهم من أهل البدع، وإن من أعظم الأدلة على جهل أصحاب المنهج الإخواني بالتوحيد وعدم اهتمامهم به وعداوتهم لأهله، تجتمع فصول

المجاهدين جميعًا على جماعة جميل الرحمن في كُنَرٍ وقتالهم له ولهم وأخيرًا اغتيالهم لرئيسهم وقضائهم على دعوة التوحيد في أفغانستان، لقد فزعوا أشد الفزع حين رأوا جميل الرحمن أسس في ولايته أكثر من مائتي مدرسة، تُدرّس فيها كتب التوحيد التي ألفها ذلكم الإمام العظيم المجدد الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مثل الثلاثة الأصول، والأربع القواعد، وكشف الشبهات، وكتاب التوحيد، لقد جن جنونهم حين رأوا التوحيد ينتشر في أرض أفغانستان التي أراد أصحاب الجهاد فيها أن تنتشر عليها الصوفية، بكراماتها المكذوبة التي يروج لها بالباطل، حيث كانوا يزعمون أن من قُتِلَ في هذا الجهاد تنبعث من جثمانه رائحة المسك، ولقد راجت تلك الأكاذيب التي كان يروجها الإخوان، ونشرها عبد الله عزام رَحِمَهُ اللهُ في كتابه «آيات الرحمن في جهاد الأفغان» ولقد قرأت ذلك الكتاب أو بعضه على جماعة مسجدي مقتنعًا بما فيه ومعجبًا به بل وغضبت على من جادلني في صحة ذلك وقال أن الخبر الوارد أن الشهداء يكون دمهم رائحته رائحة المسك مقيد بيوم القيامة، ورغم أنني أعرف جيدًا أن الحديث مقيد بيوم القيامة، إلا أن ذلك راجع عليّ لأمرين:

الأمر الأول: أنني اعتقدت في ذلك الوقت أن الله عَجَّلَ ذلك في الدنيا؛ لأن جهاد الأفغان جهاد حق، لكونهم يقاتلون الملحدين.

الأمر الثاني: أنني اعتقدت أن الإخوان المسلمين صادقون في كل أقوالهم وأنهم لا يكذبون، وزادني اغترارًا بهذا القول أن الشيخ عبد الله عزام رَحِمَهُ اللهُ قال أنه شهد عنده بذلك رجال، لو كانوا عند البخاري ومسلم لما عدلا عن شهادتهم ولرويا عنهم!!!.

فصل

ثم تأكد عندي أن أصحاب المنهج الإخواني يتدينون بالكذب، إذا كان لمصلحة الدعوة كما زعموا، والحقيقة أنهم يستعملون الكذب إذا كان لمصلحة حزبهم، إما للرفع من شأن رجاله ومن يواليهم، وإما للحط من شأن من يخالفهم، ويبيِّن بطلان ما هم عليه من حزية ممقوتة، ولقد أصبح ذلك مشهورًا عنهم، وواضحًا من حالهم، وأعمالهم للمتتبع لأعمالهم وأحوالهم والمطلع على ما كُتِبَ عنهم، أو قيل عنهم،

ممن اغتروا بهم ثم تركوهم ، والمهم أنه قد اتضح كذبهم في هذا الزعم فيما بعد ، ومما يبين كذبهم ويزيده وضوحاً بصورة أكثر أنا إذا قرأنا في سير السلف لا نجد ذلك حصل لشهداء الصحابة ، الذين قُتلوا مع النبي ﷺ ، ولا حصل لأحد من الصحابة الذين استشهدوا في الفتوح بعد النبي ﷺ ، ولا في القرون المفضلة في جهادهم وقتالهم للكفار ، ولا ادَّعاه أحدٌ بعدهم ، فإما أن يكون شهداء الإخوان أفضل من شهداء الصحابة الذين قتلوا مع النبي ﷺ ، ومن سائر شهداء المسلمين في عصر التابعين وأتباع الأتباع ، في القرون المفضلة ، لذلك وجدت من شهدائهم رائحة المسك دون شهداء الصحابة وسائر السلف ، وإما أن يكون الإخوان كاذبون مموهون ، وأما ما نقله عبد الله عزام رَحِمَهُ اللهُ فِي كتابه «آيات الرحمن في جهاد الأفغان» (ص ٨٦) عن الكنز - أي : كنز العمال - معزواً إلى أبي نعيم في المعرفة عن محمد بن شرحبيل قال : «اقتبض إنسان من تراب قبر سعد بن معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ففتحها فإذا هي مسك فقال النبي ﷺ : سبحان الله ، سبحان الله حتى عرف ذلك في وجهه» فهذا لا يثبت ، وأبو نعيم له نُقُول كثيرة لا تثبت في الحلية وغيرها ، ولو كان مثل هذا صحيحاً لنقله أهل الكتب المعتمدة في فضائل سعد ، وأنا أو من بكرامات الأولياء ، ولكن ما لم يكن كرامة لأصحاب النبي ﷺ لا يكون كرامة لغيرهم .

وقد ذكر عبد الله عزام في كتابه المذكور سابقاً (ص ١٢٤) تحت عنوان رائحة الشهداء ١١ / ٢١ قال فيه : أصبحت رائحة دم الشهداء معروفة لدى المجاهدين وأصبحوا يشمونها من مكان بعيد .

(١) حدثني أرسلان قال عرفت مكان الشهيد «عبد البصير» في الليل المظلم من رائحته العطرة .

(٢) رائحة الشهيد ولي جان على بعد ٢,٥ كلم وذكر قصصاً من هذا القبيل ليثبت ما ادعاه .

واسمع إلى حديث المصطفى ﷺ الذي لا يعتريه شك ولا تتسرب إليه ريبة ، روى البخاري ومسلم ومالك في الموطأ والترمذي والنسائي عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال : قال

رسول الله ﷺ: «ما من مكلوم يكلم في سبيل الله، إلا جاء يوم القيامة، وكلمه يدمى اللون لون الدم والريح ريح مسك»^(١)، وفي رواية: «كل كلم يكلمه المسلم في سبيل الله تكون يوم القيامة كهيئتها إذ طعنت تفجر دمًا، اللون لون دم، والعرف عرف مسك»^(٢) وفي رواية ثالثة: «لا يكلم أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة واللون لون دم، والريح ريح المسك»^(٣). هذه روايات البخاري في الجهاد باب من يخرج في سبيل الله، وفي الوضوء باب ما يقع من النجاسات في السمن والماء، وفي الذبائح باب المسك.

ولأبي داود، والترمذي، والنسائي، عن معاذ بن جبل ضمن حديث «ومن جرح جرحًا في سبيل الله، أو نكب نكبة فإنها تجيء يوم القيامة كأغزر ما كانت لونها لون الزعفران، وريحها المسك»^(٤) والحديث صحيح صححه الترمذي وابن حبان والحاكم في المستدرک.

فهذه الأحاديث وما في معناها تفيد أن رائحة دم الشهداء إنما تكون مسكًا يوم القيامة، أما اليوم -أي: في الدنيا- فإن الحياة قد جعل الله لها سننا لا تختلف، وأنا أو من بأن الله قادر على خرق السنن، وخرق السنن لا يكون إلا في معجزة نبي، أو كرامة ولي والكرامة تكون لشخص واحد إذا دعت الحاجة إليها، والولي يحب سترها وإخفاءها ولا يحب نشرها، أما أن يكون جميع الشهداء أو أكثرهم توجد منهم رائحة المسك، وينبعث من أجسامهم نور؛ فهذا لا أصدقه، وربما كانت مثل هذه الأخبار ذريعة إلى الشرك وسيصبح هؤلاء يعبدون، لأن أهل الجهل من عاداتهم أنهم يعبدون من ظنوا فيه الولاية، كما صنع أهل الجاهلية مع اللات، فلو حصل شيء من ذلك بالفعل لكان الأولى ستره لا نشره والله الموفق.

(١) أخرجه البخاري (٥٥٣٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) أخرجه البخاري (٢٨٠٣)، ومسلم (١٨٧٦) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٥٤١)، والترمذي (١٦٥٧)، والنسائي (٣١٤١) من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٦).

فصل

وقال في كتاب الطريق إلى الجماعة الأم تأليف الشيخ عثمان عبد السلام نوح (ص ١٣٧) بعد إعلان الحكومة المؤقتة للمجاهدين الأفغان برئاسة مجدي، صدر العدد رقم ٥٣ من مجلة الجهاد شهر مارس ١٩٨٩م وتحت عنوان جاء الحق وزهق الباطل، كتب الدكتور عبد الله عزام يقول: تأكدت أن هذا القرآن لا يفتح أسرار له فقيه قاعد وهذا الدين لا يسبر أغواره، ولا يدرك معانيه حفظ المتون والحواشي، ممن لا يتحركون به، ولا يعيشون لنصرته، وأيقنت أكثر من أي وقت مضى اتفاق العلماء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق، واشترط العلم والتقوى لمن يلي أمراً من أمور المسلمين، أو يتصرف في شئونهم.

وقبل أن أدخل في الرد على الدكتور؛ سأنقل مقاطع من رد مؤلف كتاب الطريق إلى الجماعة الأم حيث قال (ص ١٣٨): «ونقول للأسف الشديد كان على الدكتور رَحِمَهُ اللهُ ألا يثير حساسيات المجاهدين بانتمائهم إلى حزب معين، أو جماعة معينة بل كان عليه أن يدعو إلى عقيدة السلف لأنها محل اتفاق الجميع خاصة بين المجاهدين العرب، لأن الثناء على جماعة بعينها وتنقيص غيرها يؤدي إلى تفكيك الصفوف، بل لأن المجاهدين ينتمون إلى جماعات متعددة، وبينهم خصومات كثيرة في وجهات النظر وفي المناهج، فإذا قال لجماعة أنهم أصحاب حواشي ومتون، فلا بد أن يقوم من يرد على مثل هذا الاتهام»، إلى أن قال: «لقد أبى الشيخ رَحِمَهُ اللهُ إلا أن يثني على قادة، ويُطَيِّروا صيتهم إلى الآفاق، لأنهم موالون لجماعة ويدفن مجهود آخرين ويحط من قدرهم لا لشيء إلا لأنهم لا ينتمون لجماعته ولقد أفصح رَحِمَهُ اللهُ عن رغبته في ضرورة بيان نسبة الجهاد الأفغاني لجماعته فقال: إذ كل ما أردت أن أبينه للناس أن الحركة الإسلامية جماعة الإخوان هي باعثة هذا الجهاد الإسلامي وهي النواة التي كانت طليعة هذا العمل المبارك. «آيات الرحمن ص ٢٨».

وقال في معسكر صدا ألقى درساً أثنى فيه على قائد منطقة بنجشير، وحط من قدر قائد منطقة كُتْرَ لأن الأول موالٍ للإخوان والثاني يخالفهم وذكر ذلك أيضاً في كتابه

المسمى «خضم المعركة ص ١٩» .

ولقد دافع المؤلف عن السلفيين بكلام طويل أقتطف منه ما يلي، قال في (ص ١٣٩): «عمومًا ما دام هذا قد حدث وتم طبع هذا الكلام في الكتب وعلم الناس أن دعاة المنهج السلفي مجرد حفظة متون وحواشي، وأنهم لا يدركون معاني الدين، ولا يتحركون به وجب علينا بيان الحق من الباطل» فنقول: وأي شيء فرط فيه أتباع المنهج السلفي، وصار عندهم قولًا بلا عمل، بل المعروف عنهم شدة تمسكهم بالأصول والفروع حتى أن الآخرين ينكرون عليهم شدة تمسكهم بالسنن، والمستحبات فضلًا عن الواجبات، وفضلًا عن أصول الدين، فالتوحيد بجميع أنواعه الثلاثة عرفوه، وعملوا به، وبينوه للناس، وخاصموا المخالفين لأجله وأحبوا فيه وأبغضوا فيه ووالوا فيه وعادوا فيه في الوقت الذي يعلم فيه الجميع موقف الإخوان حتى آل بهم التفريط في حقوقه إلى الدفاع عن أعدائه من الأشاعرة، والمتصوفة، والشيعة، بل آل بهم الأمر إلى عدم العلم به عند بعض قاداتهم».

قلت: يشير بذلك إلى بعض قادة الإخوان، الذين وقعوا في الشرك الأكبر، والذين سبق ذكرهم، وهم المؤسس نفسه حسن البنا، وعمر التلمساني، ومصطفى السباعي، وغيرهم، والذي نعتقد أن هؤلاء وقع منهم ما وقع بسبب جهلهم بعقيدة التوحيد.

فصل

وقد آن الأوان أن أرد عليه في المقطع السابق فأقول: قال الدكتور عبد الله عزام رَحِمَهُ اللهُ فِي المجلد رقم (٥٣) من مجلة الجهاد كما سبق نقله قبل قليل «تأكدت أن هذا القرآن لا يفتح أسرارَه لفقيه قاعد، وهذا الدين لا يسبر أغواره ولا يدرك معانيه حفظة الحواشي والمتون، ممن لا يتحركون به ولا يعيشون لنصرتِه» .

والرد عليه في هذا المقطع من وجوه:

الوجه الأول: أنه زعم أن فهم القرآن منعدم، وطريق الدين مسدود عن كل فقيه

لا يشترك معهم في حزبهم الثوري ومنهجهم التكفيري، فحفظه المتون والحواشي القاعدون عن الجهاد بزعمه أتعبوا أنفسهم بغير فائدة؛ فلا القرآن فهموا ولا الدين عرفوا، ولازم ذلك أنهم أشبه شيء بمن قال الله فيهم: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْبَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

الوجه الثاني: يفهم من قوله هذا أن القرآن لم يفصح أسرارهم إلا لأهل حزبهم، والدين لم يسبر أغواره إلا لأهل حزبهم الثوري التكفيري، ولا أدري هل يعد مجاهدًا، وسعيد بن جبير، وعطاء، وطاوس، وعكرمة، وسعيد بن المسيب، وعلي بن طلحة، والذين جاءوا من بعدهم، كمالك بن أنس، وحماة بن زيد، وسفيان الثوري، وعبد الله بن المبارك، والشافعي، وأحمد بن حنبل، وابن مردويه، وابن جرير الطبري، وغيرهم ممن جاء في أزمته، أو بعد أزمته ممن فسروا القرآن، هل يعدهم جميعًا ثوريين مثله، لذلك انفتحت عليهم أسرار القرآن، وسبروا أغوار الدين أم أنهم لم تنفتح عليهم أسرار القرآن لأنهم لم يكونوا ثائرين؟!

الوجه الثالث: يلزم من قوله هذا أن الاشتغال بحفظ المتون والحواشي ممن لا يتحرك به حركة الثوريين، أن عمله عمل باطل، وجهده جهد ضائع لأنه لا يستفاد منه، وفي ذلك رد لكلام الله، وكلام رسوله، وإبطال لأمره تعالى وأمر رسوله ﷺ، وإجماع الأمة، فالله تعالى يقول: ﴿وَمَا كَانُوا الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾.

والنبي ﷺ يقول: «من برد الله به خيرًا يفقهه في الدين»^(١) فالنصوص الشرعية مطلقة لم تقيد بحركة، ولا غيرها، والمسلمون مجمعون على أن التفقه في الدين فرض كفاية على المسلمين من غير شرط الحركة، التي هي الخروج على الولاية والمنازعة لهم، بل إن المنازعة للولاية وإثارة الشغب عليهم، وإرهاب المسلمين

(١) أخرجه البخاري (٧١)، ومسلم (١٠٣٧) من حديث معاوية رضي الله عنه.

وإخافتهم بالاغتيالات، والتفجيرات، معصية كبرى، وفساد عظيم.

الوجه الرابع: لقد فتح الشيخ عبد الله عزام باب الاستهزاء بالعلماء السلفيين، والتحقير لشأنهم فتبعه على ذلك أصحاب فقه الواقع، فزعموا أن كبار العلماء في السعودية جاهلون بفقه الواقع، ولازم ذلك أنهم مغفلون أغرار لا يفقهون الواقع، فمنهم من يقول أنهم جهالٌ بفهم الواقع، ومنهم من يقول عنهم علماء الحيض والنفاس، ومنهم من يقول حفظة متون وحواشي، ومنهم من يقول إنهم عبيد للولادة، ومنهم، ومنهم!!!

ولقد قام واحد من جماعة حزبه في جامع بإحدى المدن، وقال أن أركان الإسلام ستة وليست خمسة كما قال رسول الله ﷺ وزاد عليها الجهاد، الذي سماه عزام حركة، ولقد أنكر عليه ذلك كل فضائل المجتمع واستثنى به طلاب العلم شهراً، ليقف في المكان الذي وقف فيه، ويرد على نفسه بنفسه، فلم يفعل ثم ردوا عليه ولقد تلقفها منه شاعرهم عايض القرني، الذي رجع الآن عن بعض أخطائه، واعترف بخطئه فيها نسأل الله أن يشبته على ذلك، ويوفقه للتراجع عن جميع الأخطاء التي حصلت منه، فاسمع إليه في قصيدته التي نشرها في ديوانه لحن الخلود، وعنوانها «دع الحواشي واخرج» فهو يقول تحت هذا العنوان:

صل ما شئت وصم فالدين لا	يعرف العابد من صلى وصاما
واجعل السبحة مترين وخذ	عمة صفراء واصبغها رخام
واترك العالم في غوغائه	يتلظى في لياليه اضطراما
أنت قسيس من الرهبان ما	أنت من أحمد يكفيك الملاما
ترك الساحة للأوغاد ما	بين قزم مقرف يلوي الزاما
أو دعي فاجرٍ أوقع في	أمتي جرحاً أبى ذاك التئاما
لا تخادعني بزي الشيخ ما	دامت الدنيا بلاء وظلاما
أنت تأليفك للأموات ما	أنت إلا مدنف حب الكلاما
كل يوم تشرح المتن على	مذهب التقليد قد زدت قتاما

والحواشي السود أشغلت بها حينما خفت من الباغي حساما
لا تقل شيخي كلامًا وانتظر عمر فتوى مثلكم خمسون عاما
والسياسات حمى مهجورة لا تدانيها فتلقيك حطاما
فقد الأجيال في ساح الوغى واسق أعداء الهدى كأسًا زؤامًا

أتدري من يريد بأعداء الهدى إنه يريد من خالف المنهج الذي يريده، ومنهم أبناء الملك عبد العزيز آل سعود - وفقهم الله - الذين قامت دولتهم على التوحيد وما زالت عليه، أتعلم يا عائض أن دولة آل سعود دولة مسلمة يحرم الخروج عليها ومنازعة ذوي السلطان فيها امتثالاً لأمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ فالله تعالى يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. والنبي ﷺ يقول: «اسمع وأطع للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»^(١). ويقول: «من أطاع الأمير فقد أطاعني، ومن أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصى الأمير فقد عصاني، ومن عصاني فقد عصى الله»^(٢).

أما تعلم يا عائض أن دولة آل سعود هي أحسن دولة مسلمة على وجه الأرض، يتمتع أهلها بالأمن والإيمان، ورغد العيش، إنها الدولة التي تنشر العقيدة الإسلامية الصحيحة في مدارسها، ومعاهدها، وكراماتها، إنها الدولة الوحيدة التي تحكّم شرع الله في محاكمها، وتقيم حدود الله، أيجوز لكم أن تغروا بها السفهاء، وتشيروا عليها وضدها الغوغاء، ألم تكن ربتكم في مدارسها، وأنفقت عليكم حتى وصلتكم إلى ما وصلتكم إليه، ثم يكون هذا جزاؤها منكم، أما وجدت شيئاً تستعمل فصاحتك فيه إلا هذا الباب، الذي عصيت فيه الله ورسوله وأولي الأمر جميعاً، ألسنت أنت الذي تقول أيضاً في (ص ٥) لحن الخلود تحت عنوان ملوك الإيمان:

وعبيد الأرض لا حول لهم وزوال الملك عنهم في شك
أيها المؤمن لا تحفل بمن يرفع السوط ومن يلقي الشبك

(١) أخرجه مسلم (١٨٤٧) من حديث حذيفة بن اليمان رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري (٢٩٥٧)، ومسلم (١٨٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

فارفع الذل ولا ترضى الخضوع لرئيس مستبد أو ملك
أنت كالبركان لا يدري به فإذا ثار تلظى واحترق
دمك الطهري لا تبخل به وابذل النفس بساح المعترك

والمهم أن الشيخ عبد الله عزام هو الذي فتح الباب للحزبيين في الطعن في العلماء السلفيين، والولاءة المسلمين، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الوجه الخامس: من أين له أن العلماء السلفيين لا يتحركون بالدين، ولا يعيشون لنصرته، إن هذا إلا افتراء عليهم، وبهتان لهم، إنهم يعيشون لنصرته ويسعون في نشره ليلاً ونهاراً، فهم دائماً أوقاتهم مشغولة بالتعليم، والفتاوى، والمحاضرات، والمذاكرة استعداداً للدروس، والفتاوى، أو بحث الفتاوى التي تحتاج إلى بحث والرد على المبتدعين بالمؤلفات والفتاوى، والإجابات على الأسئلة، إنهم جسر منيع، وسد قوي في الدفاع عن الدين، والدعوة إليه، ونشر أحكامه، أما العمل به في ذات أنفسهم، وتطبيقه في ولايتهم، وعلى من تحت أيديهم فحدث ولا حرج، إلا أنهم ليسوا معصومين من الخطأ، فهم بشر كسائر البشر، يصيبون ويخطئون، ولكن الصواب عليهم أغلب، وهذا بالنسبة للأحكام الفرعية، أما العقيدة، ومنهج الدعوة، ومنهج الولاء والبراء والوفاء بالبيعة للوالي المسلم واحترام بيعته؛ فهم جميعاً على نهج واحد، وعقيدة واحدة، لا يتزحزون عنها قيد أنملة، نسأل الله أن يثبت الأحياء منهم، ويرحم الأموات، إنه على كل شيء قدير.

نعم، هم لا يتحركون بالدين، الحركة التي يعينها أصحاب التنظيمات السرية، والتي يبيتون من ورائها الإطاحة بالسلطة القائمة، وينوون إنشاء سلطة، زعموا بدلاً عنها إنهم لا ينوون ذلك، ولا يفكرون فيه لأنهم يرون أن ذلك فساد في الأرض، والله ﷻ يقول: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ﴾. إنهم لا يرون الخروج على السلطة المسلمة امتثالاً لأمر الله، وأمر رسوله، وإجماع السلف المستند إلى النصوص الشرعية.

الوجه السادس: ويتبين من هذا أن أصحاب المنهج الإخواني ومن على شاكلتهم

يخصون بعدائهم الموحدين فقط ، وإذا لاحظنا معاملتهم لغير الموحدين من أصحاب المناهج الضالة ، وحتى الديانات الكافرة ، تجدهم يتعاطفون معهم ، ويصافونهم المودة ، ويجعلونهم إخواناً لهم وأعضاءً في منهجهم ، ولهذا فلم يبعد عن الحقيقة من قال إنهم ضد التوحيد ، وضد الولاية ، وضد السنة .

فصل

في الأدلة على كونهم ضد التوحيد

ويتبين أنهم ضد التوحيد من خلال الأمور الآتية :

(١) أن حسن البنأ لم يدع إلى التوحيد ولم يأمر به أحد من أتباعه قط .
(٢) أنه لم ينه عن الشرك الأكبر مع كثرة الواقعين فيه ، فهو يراهم يطوفون بالقبور ، وينذرون لها ، ويذبحون على اسمها ، ولم ينقل عنه أنه نهى أحداً عن فعل ذلك الشرك الأكبر المخرج من الملة ، بل شاركهم في ذلك باعترافه فهو يقول عن نفسه أنه كان يذهب من دمنهور مسافة ثلاث ساعات ذهاباً ، وثلاث ساعات إياباً ، ليزور قبر الدسوقي وغيره وهذا يدل على ما وراءه .

(٣) أنه وقع في الشرك الأكبر بقوله :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

يعني : أن رسول الله ﷺ سامحهم وغفر ذنوبهم ، فهل هو يملك ذلك؟!!!

(٤) وقد وقع في الشرك الأكبر أتباعه ، بل المرشدون منهم ، والمنظرون فيهم ، كما قد سبق بيانه وذكره في أول البحث ، ومنهم عمر التلمساني ، ومصطفى السباعي ، وسعيد حوى ، وما لم يدون أكثر .

(٥) ومما يدل على ذلك تعاطف حسن البنأ وأتباعه وولاؤهم واندماجهم مع الشيعة المشركين ، وتبنيهم لدعوة التقريب بين الرافضة والسنة ، رغم ما عند الرافضة من شركيات وكفريات وبدع ، وتصريحهم بأخوتهم لهم .

(٦) يقول التنظيم الدولي للإخوان: ولو كان الأمر يخص إيران وحدها، لقبلت حلاً وسطاً بعد أن تبينت ما حولها، ولكنه الإسلام وشعوبه في كل مكان؛ وقد أصبحت أمانة في عنق الحكم الإسلامي، الوحيد في العالم، الذي فرض نفسه بدماء شعبه في القرن العشرين، ليثبت أن حكم الله فوق حكم الحكام، وفوق حكم الاستعمار والصهيونية العالمية ١٤٦١هـ / م.

فانظروا إليه أثبت الإسلام للرافضة وحدهم، الذين يكفرون أبا بكر، وعمر، وعثمان، وسائر الصحابة، وتجاهل دولة التوحيد التي قامت عليه وما زالت تحميه، وتدافع عنه، وتعلمه وتنصره وهي الدولة السعودية.

(٧) اجتماع فصائل الجهاد في أفغانستان على جماعة جميل الرحمن في كُنر، وقتالهم لهم، وهذا من أعظم الأدلة على بغضهم للتوحيد وأهل التوحيد.

(٨) ثناء حسن البنّا على محمد عثمان الميرغني السوداني، القائل بوحدة الوجود.

(٩) قول الحسن البنّا للجنة المشتركة: ليس بيننا وبين اليهود عداوة دينية، أو خصومة دينية. انظر: الإخوان المسلمون أحداث صنعت التاريخ (١/٤٠٩).

(١٠) كان بعض أعضاء المنهج الإخواني من الأقباط، وهذا لا أقوله تخيلاً ولا تخميناً، بل هو الحقيقة نقل في كتاب دعوة الإخوان المسلمون في الميزان، وفي مجلة لواء الإسلام والعدد الأول السنة الخامسة والأربعون رمضان ١٤١١هـ (ص ٣٩) قالت المجلة: «والإمام حسن البنّا عندما شكل اللجنة السياسية العليا للإخوان المسلمين كان ضمن أعضائها ثلاثة من المسيحيين هم الأساتذة: (١) لويس أخنوخ (٢) وهيب دوس (٣) ثابت كريم».

(١١) لقد جمع البنّا في حزبه خليطاً من أصحاب الاتجاهات البدعية والشركية، فمنهم الجهمي، والمعتزلي، والصوفي، والأشعري، وغير ذلك بل ودخل في حزبه النصاري واليهود، ولم يضق صدره بأحد منهم وتبعه على ذلك أصحاب حزبه فلم تضق صدورهم بأحد حتى ولو بلغ الدرجة القصوى في الوثنية كمن يؤمن بتصرف

الأقطاب في الكون بدلاً من رب الكون كما هي عقيدة مجدي الذي قال عزام هذا القول وكتب هذا المقطع في مجلته وهو تحت رئاسته، ولم يمنع ذلك عزاماً وهو الناطق باسم الجهاد الأفغاني في ذلك الوقت من أن يهزم ويلمز الشيوخ السلفيين ويطعن فيهم مع أنه تحت رئاسة وثن مسف في الوثنية.

(١٢) والمهم أن أصحاب المنهج الإخواني لم تضق صدورهم بأحد من فرق الضلال، بل والكفر الصريح، ما داموا يوافقونهم على منهجهم فما من أحد منهم إلا وقد اتسعت صدورهم له ما عدا الموحدين أصحاب المنهج السلفي، فإنهم وقفوا منهم موقف العداء، فمن نالته أيديهم مثل جميل الرحمن، قاتلوه أو قتلوه ومن لم تنله أيديهم ورأوا أنهم بحاجة إليه نالوا منه بكلام يحمل في طياته السخرية والازدراء، وأهانوه بذلك وحقوقه لكي ينفروا الشباب عنه وعن منهجه، وهذا ما فعله عبد الله عزام -غفر الله لنا وله- وتبعه على ذلك من تبعه كعائض القرني وغيره، والآن سأعود إلى متابعة الرد فأقول:

الوجه السابع: سمعت ما زعمه عبد الله عزام، في قوله: إن القرآن لا يفتح أسرارَه على فقيه قاعد، بل على فقيه متحرك... إلخ.

واسمع إلى الله العليم الخبير حيث يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَءَامِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. ويقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِن تَنَقُّوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾. وإذا فسرنا الحركة التي يقصدها بالخروج على الولاية، وإن كانوا مسلمين، ويحكمون شرع الله فيما تحت أيديهم، ومحاكمهم، كلها شرعية كما هو بين في قوله: «وأيقنت أكثر من أي وقت مضى اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق، واشتراط العلم والتقوى لمن يلي أمراً من أمور المسلمين، أو يتصرف في شئونهم».

فإنه سيكون هؤلاء بعيدين عن التقوى والإيمان الكامل، الذي جعله الله -جل شأنه- شرطاً في العلم النافع، والعمل الصالح، والمغفرة والرحمة، وصدق بعد ذلك

من شئت، فقد فسر مجاهد وعكرمة وغيرهم «فرقانا» مخرجاً قال مجاهد: في الدنيا والآخرة، وقال ابن عباس: فرقاناً: نجاة، وفي رواية عنه: نصراً، وقال ابن إسحاق: فرقاناً فصلاً بين الحق والباطل، قال ابن كثير: وهذا التفسير من ابن إسحاق أعم مما تقدم، وهو يستلزم ذلك كله، فإنه من اتقى الله بفعل أو امره، وترك زواجه، وفق لمعرفة الحق من الباطل فكان ذلك سبباً لنصرته، ونجاته، ومخرجه من أمور الدنيا وسعاده يوم القيامة، وتكفير ذنوبه، وهو محوها وغفرها وسترها عن الناس وسبباً لنيل ثواب الله الجزيل كقوله تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فإذا أردت أن تعلم أن عمل الحركيين وما عقدوه من جواز الخروج على الولاة حتى ولو كانوا مسلمين باطل؛ فاقرأ الرد عليه في الوجه التاسع لكي تعلم أن الأدلة، وعقيدة السلف على خلاف ما قال عزام، ثم قول حكايته اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق أين وجد هذا الاتفاق، والعلماء مجمعون على صحة ولاية المسلم الفاسق، وتحريم الخروج عليه، اللهم إلا إن كان يقصد فقهاء المعتزلة وأتباعهم من الحركيين اليوم، وسيأتي لهذا مزيد بيان في الوجه التاسع.

الوجه الثامن: لما كتب عبد الله عزام هذا المقطع في الطعن على العلماء السلفيين وتنقصهم فيه؛ كان تحت رئاسة صبغة الله مجدي، وهو رجل يؤمن بأن الكون يديره ويتصرف فيه أولياء الصوفية، يتضح لك ذلك مما نقله الشيخ عثمان عبد السلام نوح، في كتابه الطريق إلى الجماعة الأم (ص ١٥٧) حيث قال بعد كلام عن مجدي!!

شركه في الربوبية

توجد رسالة لصبغة الله مجدي، بعنوان «متن بيان بروسفور مجدي» وفيها بيان لانحرافه في العقيدة من كل النواحي، حتى وصل إلى شرك الربوبية، الذي فاق شرك أبي جهل وأصحابه، حيث قال في صفحة سبعة عشر ما نصه: «جاء في بعض كتب الصوفية بأنه كل عام ينعقد مجلس للأولياء والمتصرفين على وجه الأرض اسمه ديوان

الصالحين وفي هذا الديوان تحضر روح النبي ﷺ، وحيث الأولياء الكرام ويحضر غوث الزمان، وهو متصرف الحوادث في الدنيا، ويحضر قطب الزمان، وهو متصرف الوقت» انتهى .

قلت : وهذا القول فيه تعليق لعثمان عبد السلام نوح، قال فيه : فهذا شرك واضح في الربوبية، تبرأ منه حتى المشركون القدامى، إذ أثبت رئيس الدولة الإسلامية المزعومة أن تدبير الكون بيد أولياء الصوفية بينما أقر المشركون القدماء أن هذا كله بيد الله وحده، قال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ . وقال تعالى : ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّنْ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ ﴿٩٠﴾﴾ فصح بهذا أن هذا الرجل قد فاق شره شرك المشركين الأولين، ولا أدري أي صاحب عقيدة صحيحة يقاتل لكي يكون الدين كله لله، ثم يقبل القتال تحت قيادة هذا الرجل، لأن هذا الرجل إذا تمكن من مكان فسوف ينتصر فيه لعقيدته، وينشر فيه مذهبه الشرقي، فيكون معنى هذا أننا نقاتل لتمكين المشركين والعياذ بالله . انتهى ما أردت نقله .

قلت : قارن بين هذا المقطع وبين المقطع الأول الذي ذم فيه عزام علماء السلفية، وزعم أنهم فقهاء قاعدون لا يهمهم إلا حفظ المتون والحواشي فقط بدون عمل، أليس هذا يدل على أنهم يبغضون السلفيين ويحبون ويتعاطفون مع الوثنيين أصحاب الخرافات والبدع، وحتى مع الكفار الصرحاء؟! .

ثم اسمع أيضًا إلى شره في الألوهية، حيث نقل صاحب المصدر المذكور أنه قال في صفحة ثمانية : «وفي هذه الحالة يوجد أشخاص -يعني السلفيين- يريدون إدخال مذاهب أخرى في أفغانستان، ويريدون الدعوة إليها، وهم يحكمون علينا بالشرك ويقولون أنتم مشركون لأنكم تقولون يا محمد، أستغفر الله في أي منطق هذا، وفي أي دين هذا، وفي أي مذهب هذا، إذا قلت يا وزير، يا ملك، من هؤلاء الناس الذين قلوبهم مثل الحجر لا يكون شرًا، وإذا ناديت باسم رسول الله ﷺ وهو أفضل العالمين يكون شرًا؟!» . انتهى .

قلت : ألا ترى أيها القارئ المحب للحق أن هذا الرجل قد جمع الشرك بحذايره شرك الربوبية، وشرك الألوهية، وتجاوز في شركه كل المشركين الذين سبقوه، ومع ذلك فقد رضي به عزام وفئته رئيسًا للدولة التي يسعون في إقامتها مع ما ظهر منه من استخفاف بالسلفية وظلم لأصحابها الموحدين، وعلى هذا فقل على الإسلام السلام إن تمكن هؤلاء، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

الوجه التاسع : وأما قوله : وأيقنت أكثر من أي وقت مضى اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق، واشتراط العلم والتقوى لمن يلي أمرًا من أمور المسلمين، أو يتصرف في شئونهم.

فيرد عليه في هذا المقطع من وجوه :

الأول : في قوله «أيقنت أكثر من أي وقت مضى اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق» حكاية إجماع لأن كلمة اتفاق الفقهاء البارزين معناه إجماعهم على ذلك، وهذا الإجماع المدعى غير صحيح، بل أن هذا الادعاء، ادعاء باطل، ترده ظواهر الأدلة من كتاب، وسنة، وإجماع أهل السنة والجماعة على تحريم الخروج على الوالي المسلم، وإن كان جائرًا فالله تعالى يقول : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾. وفسر أولوا الأمر بالأمراء، والعلماء، فطاعتهم واجبة سواء كانوا من أهل العدل أو من أهل الجور للأدلة الآتية :

روى مسلم، وابن ماجه، والطيالسي، والبخاري في الأدب المفرد من حديث أبي ذر رضي الله عنه قال : «إن خليلي أوصاني أن أسمع وأطيع وإن كان عبدًا حبشيًا مجدع الأطراف» وفي رواية البخاري في الأدب المفرد : «ولو لحبشي كأن رأسه زبيبه».

وروى البخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه، وأحمد، وأبو داود من حديث ابن عمر رضي الله عنه مرفوعًا إلى النبي ﷺ أنه قال : «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»^(١).

(١) أخرجه البخاري (٢٩٥٥)، ومسلم (١٨٣٩).

وفي حديث حذيفة رضي الله عنه: «قلت: فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت: يا رسول الله صفهم لنا، قال: نعم، قوم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا، قلت: يا رسول الله فما ترى إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم تكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض على أصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك»^(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات فميتة جاهلية»^(٢).

وروى الإمام أحمد في المسند عن طريق الحارث الأشعري، أن نبي الله ﷺ قال: «إن الله ﻻ يحب أن يعصى أمر يحيى بن زكريا عليه السلام بخمس كلمات، أن يعمل بهن وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن وكاد أن يبطئ فقال له عيسى: إنك قد أمرت بخمس كلمات أن تعمل بهن وأن تأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن فيما أن تبلغهن وإما أن أبلغهن، فقال: يا أخي إني أخشى إن سبقتني أن أعذب أو يخسف بي، قال: فجمع يحيى بني إسرائيل في بيت المقدس حتى امتلأ المسجد فقعد على الشرف فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: إن الله أمرني بخمس كلمات أن أعمل بهن، وأمركم أن تعملوا بهن، أولهن أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً . . .

وذكر الحديث إلى أن قال: فقال رسول الله ﷺ: وأنا آمركم بخمس، الله أمرني بهن بالجماعة، والسمع والطاعة، والهجرة، والجهاد في سبيل الله، فإنه من خرج من الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، إلا أن يراجع، ومن دعا بدعوى الجاهلية فهو من جثا جهنم، قالوا: يا رسول الله وإن صام وصلى؟، قال: وإن صام وإن صلى، وزعم أنه مسلم، فادعوا المسلمين بأسمائهم بما سماهم الله ﷻ المسلمين المؤمنين عباد الله ﷻ»^(٣).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٠٦)، ومسلم (١٨٤٧).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٣)، ومسلم (١٨٤٩).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٨٦٣)، وأحمد (١٧٢٠٩)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٧٢٤).

أخرجه أحمد في المسند (٨٠ / ٥) عن أبي ذر رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة شبرًا، خلع ربقة الإسلام من عنقه»^(١).

وبالسند الذي في الحديث الأول عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنت وأئمة من بعدي يستأثرون بهذا الفيء؟ قال: قلت إذن والذي بعثك بالحق، أضع سيفي على عاتقي ثم أضرب به، حتى ألقاك أو ألحق بك، قال: أَوَلَا أدلك على خير من ذلك؟ تصبر حتى تلقاني»^(٢). ورجال السند في الأول والثاني ثقات، إلا خالد بن وهبان ابن خالة أبي ذر والراوي عنه، فإنه مختلف فيه ذكره ابن حبان في الثقات، وقال الذهبي وابن حجر: مجهول، والمتن في كلا الحديثين معروف بشواهد الصريحة.

وفي صحيح البخاري عن قتادة عن أنس بن مالك عن أسيد بن حضير رضي الله عنه: «أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله استعملت فلانًا ولم تستعملني، قال: إنكم سترون بعدي أثرًا فاصبروا حتى تلقوني»^(٣). أخرجه في كتاب الفتن، باب قول النبي ﷺ: «سترون بعدي أمورًا تنكرونها...» رقم الحديث (٧٠٥٧).

وفي صحيح البخاري أيضًا عن جنادة بن أبي أمية قال: دخلنا على عبادة بن الصامت وهو مريض قلنا: أصلحك الله، حدثنا بحديث ينفعك الله به سمعته من النبي ﷺ قال: دعانا النبي ﷺ فبايعناه، فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة، في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحدًا عندكم من الله فيه برهان»^(٤)، رقم الحديث (٧٠٥٦).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما»^(٥)، رقم الحديث في صحيح مسلم (١٨٥٣) وعند مسلم أيضًا من حديث عرفة الكلابي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من أتاكم وأمركم

(١) أخرجه أحمد (٢١٠٥٠)، وأبو داود (٤٧٥٨)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٤١٠).

(٢) أخرجه أحمد (٢١٠٤٨)، وأبو داود (٤٧٥٩)، وضعفه الألباني في المشكاة (٣٧١٠).

(٣) أخرجه البخاري (٧٠٥٧)، ومسلم (١٨٤٥).

(٤) أخرجه البخاري (٧٠٥٦).

(٥) أخرجه مسلم (١٨٥٣).

جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه»^(١).

وفي رواية: «إنها ستكون هَنَات وهَنَات، فمن أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهي جميع فاضربوه بالسيف كائناً من كان»^(٢)، صحيح مسلم باب من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع رقم الحديث (١٨٥٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من خلع بدءاً من طاعة لقي الله يوم القيامة ولا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية»^(٣).

فصل

ومن هذه النصوص يتبين أن قول عزام هذا قول باطل؛ أعني قوله: أيقنت أكثر من أي وقت مضى اتفاق الفقهاء البارزين على عدم انعقاد البيعة لفاسق، وذلك أن هذه النصوص تدل على استئثار، والاستئثار يدل على ضعف العدالة، ومع ذلك فإن الشارع ﷺ يوصي بالصبر وينهى عن الخروج، بل والمنازعة وتدل النصوص أن من خرج عن الطاعة وفارق الجماعة، فإنه إن مات على ذلك مات ميتة جاهلية، وتدل النصوص أن من فارق الجماعة وخرج عن الطاعة لقي الله ولا حجة له، وتدل النصوص أن من خرج عن الطاعة، وفارق الجماعة، فقد خلع ربة الإسلام من عنقه، والربة: حبل مستطيل فيه فلكات توضع فيها رقاب الغنم فيجمعها، فعقيدة الإسلام بمنزلة الربة للمسلمين، إذ إنها تجمعهم جميعاً في هذه العقيدة، كما يجمع الغنم في الربة، فمن خلع طاعة الإمام فقد خرج من جماعة المسلمين.

وقال في حديث حذيفة رضي الله عنه، قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم، قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك.

(١) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٢).

(٣) أخرجه مسلم (١٨٥١).

قال الحافظ في الفتح (١٣ / ٣٦): الإشارة بقوله: «الزم جماعة المسلمين وإمامهم»، يعني: ولو جار، ويوضح ذلك رواية أبي الأسود: «ولو ضرب ظهرك وأخذ مالك»، وكان مثل ذلك كثيرًا في إمارة الحجاج ونحوه، قوله: «تلزم جماعة المسلمين وإمامهم» - بكسر الهمزة - أي: أميرهم، وزاد في رواية أبي الأسود: «تسمع وتطيع، وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك»، وكذا في رواية خالد بن سبيع عند الطبراني: «فإن رأيت خليفة فالزمه، وإن ضرب ظهرك، فإن لم يكن خليفة فالهرب»، قوله: «ولو أن تعض» - بفتح العين المهملة وتشديد الضاد المعجمة - أي: لو كان الاعتزال بالعض فلا تعدل عنه - وتعض بالنصب للجميع وضبطه الأشيري بالرفع، وتعقب بأن جوازه متوقف على أن يكون التي تقدمته مخففة من الثقيلة، وهنا لا يجوز ذلك لأنها لا تلي (لو) نُبّه عليه صاحب المغني، وفي رواية عبد الرحمن بن قرط عن حذيفة عند ابن ماجه: «فلأن تموت وأنت عاض على جذل خير لك من أن تتبع أحدًا منهم» والجذل - بكسر الجيم وسكون المعجمة بعدها لام - : عود ينصب لتحتك به الإبل، وقوله: «وأنت على ذلك»؛ أي: العض، وهو كناية عن لزوم جماعة المسلمين وطاعة سلاطينهم ولو عصوا.

قال البيضاوي: المعنى إذا لم يكن في الأرض خليفة فعليك بالعزلة، والصبر على شدة الزمان، وعض أصل الشجرة كناية عن مكابدة المشقة كقولهم فلان يعض الحجارة من شدة الألم، أو المراد اللزوم، كقوله في الحديث الآخر: «عضوا عليها بالنواجذ»، قال الحافظ: ويؤيد الأول في الحديث الآخر: «فإن مت وأنت عاض على جذل، خير لك من أن تتبع أحدًا منهم». اهـ.

قلت: القولان متلازمان، فإن من لازم المفارقة حصول المشقة وقد تحصل المشقة بملازمة الجماعة، والثبوت على طاعة الولاة، إذا كانوا عصاة جائرين، وقد أشار إلى ذلك بل أبانه نبي الهدى، ورسول الرحمة، الذي ما ترك خيرًا إلا دل أمته عليه، ولا شرًا إلا حذرهما منه، بقوله في حديث ابن عباس عند البخاري في الفتن رقم (٧٠٥٣ - ٧٠٥٤) لفظ الأول عن النبي ﷺ قال: «من كره من أميره شيئًا فليصبر عليه»

فإنه من خرج من السلطان شبرًا مات ميتة جاهلية» ولفظ الثاني عن النبي ﷺ قال: «من رأى من أميره شيئًا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرًا فمات إلا مات ميتة جاهلية».

وفي حديث عبادة بن الصامت عند البخاري أيضًا (٧٠٥٦): «فقال فيما أخذ علينا: أن بايعنا على السمع والطاعة في منشطنا، ومكرهنا، وعسرنا، ويسرنا، وأثرة علينا وألا ننازع الأمر أهله إلا أن تروا كفرًا بواحا عندكم من الله فيه برهان»^(١).

وفي حديث عوف بن مالك الأشجعي رضي الله عنه عند مسلم مرفوعًا بلفظ: «خيار أئمتكم الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم، فقلنا: يا رسول الله أفلا ننبذهم بالسيف عند ذلك؟ قال: لا ما أقاموا فيكم الصلاة، ألا من ولي عليه وال، فراه يأتي شيئًا من معصية الله، فليكره ما يأتي من معصية الله، ولا ينزعن يدًا من طاعة»^(٢).

وأقول: لم ينقصنا من الله ورسوله البيان، حتى نحتاج إلى أقوال الرجال لقد بين الله ﷻ لنا أعظم بيان، ووضح لنا أعظم توضيح، بأن من الولاية من يكون عدلاً، أو جائراً، ومنهم من يكون جائراً وقد يكون فاسقاً، وأن الطاعة واجبة للسلطان سواء كان عدلاً، أو جائراً، وإلا فما معنى قوله: «وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم، ويبغضونكم، وتلعنونهم، ويلعنونكم»، إذن وهذا ما فهمه الصحابة، حين قالوا: أفلا ننبذهم بالسيف عند ذلك؟ فكانت الإجابة من النبي الكريم، والرد على من قال ذلك: «لا ما أقاموا فيكم الصلاة»، إن هذه النصوص وغيرها تفيد أن بيعة الجائر منعقدة، وإن طاعته واجبة، والإجماع على ذلك قائم.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح (١٣ / ٣٧) في شرح حديث حذيفة، ط. محب الدين الخطيب: وقال ابن بطال: فيه حجة لجماعة الفقهاء في وجوب لزوم جماعة

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرجه مسلم (١٨٥٥).

المسلمين، وترك الخروج على أئمة الجور، لأنه وصف الطائفة الأخيرة بأنهم دعاة على أبواب جهنم، ولم يقل فيهم تعرف وتنكر، كما قال في الأولين وهم لا يكونون كذلك إلا وهم على غير حق، وأمر مع ذلك بلزوم الجماعة.

قال الطبري: اختلف في هذا الأمر وفي الجماعة فقال قوم هو للوجوب، والجماعة السواد الأعظم، ثم ساق عن محمد بن سيرين عن أبي مسعود أنه وصّى من سأله لما قتل عثمان، عليك بالجماعة فإن الله لم يكن ليجمع أمة محمد على ضلالة، وقال قوم المراد بالجماعة، الصحابة دون من بعدهم، وقال قوم المراد بهم أهل العلم؛ لأن الله جعلهم حجة على الخلق، والناس تبع لهم في أمر الدين.

قال الطبري: والصواب أن المراد من الخبر لزوم الجماعة الذين في طاعة من اجتمعوا على تأميره، فمن نكث بيعته فقد خرج عن الجماعة، وفي الحديث أنه متى لم يكن للناس إمام فافترق الناس أحزاباً، فلا تتبع أحداً في الفرقة، ويعتزل الجميع إن استطاع ذلك خشية من الوقوع في الشر. اهـ.

فصل

قال في (٧/١٣) في شرح حديث ابن عباس: «من كره من أميره شيئاً، فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة شبراً مات ميتة جاهلية».

وقال ابن بطال: في الحديث حجة في ترك الخروج على السلطان، ولو جار، وقد أجمع الفقهاء على وجوب طاعة السلطان المتغلب، والجهاد معه، وأن طاعته خير من الخروج لما في ذلك من حقن الدماء، وتسكين الدهماء، وحجتهم هذا الخبر وغيره، مما يساعده ولم يستثنوا من ذلك إلا إذا وقع من الحاكم الكفر الصريح، فلا يجوز طاعته في ذلك، بل تجب مجاهدته لمن قدر عليها، كما في الحديث الذي بعده. اهـ.

وقال الحافظ (٨/١٣) ط. محب الدين الخطيب: ونقل ابن التين عن الداودي، الذي عليه العلماء في أمراء الجور، أنه إن قدر على خلعه من غير فتنة ولا ظلم، وجب

وإلا فالواجب الصبر، وعن بعضهم لا يجوز عقد الولاية لفاسق ابتداءً، فإن أحدث جوراً بعد أن كان عدلاً، فاختلفوا في جواز الخروج عليه، والصحيح المنع إلا أن يكفر فيجب الخروج عليه. اهـ.

قلت: يجب أن نأخذ من أقوال العلماء ما أيده الدليل، وما لم يؤيده الدليل بل خالفه، فإن الواجب علينا تركه، لأنه اجتهاد من غير معصوم، تبين لنا خطؤه بمخالفته لما ثبت عن المعصوم، الذي أمرنا الله ﷻ باتباعه، وطاعته، ورتب عليها دخول الجنة، والنجاة من النار، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكُمْ إِلَّا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ فَخُذُوا مَا نَهَكُمُ عَنْهُ فَأَنتهُوا﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهٗ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾. وقال تعالى: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٣١﴾ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾. وغير ذلك من الآيات الدالة على هذا المعنى ولا يجوز لأحد أن يقول أنا إنما فعلت ذلك غيرة على دين الله تعالى، فإن الخوارج إنما قتلوا عثمان رضي الله عنه، ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، إنما فعلوا ذلك بزعمهم غيرة على دين الله، فهل هم صادقون في ذلك؟! بل كل مسلم يعرف دين الحق، يقول هم كاذبون ظالمون معتدون.

فصل

في عرض أقوال رجال من أهل العلم، غير من ذكر في طاعة الولاية، وعدم الخروج عليهم وإن جاروا، قال في العقيدة الطحاوية (٢/ ٥٤٠) من شرح ابن أبي العز الحنفي الدمشقي: ولا نرى الخروج على أئمتنا، وولاية أمورنا، وإن جاروا، ولا ندعو عليهم، ولا ننزع يداً من طاعتهم، ونرى طاعتهم من طاعة الله ﷻ فريضة، ما لم يأمرنا بمعصية، وندعو لهم بالصلاح والمعافة.

قال الشارح بعد أن ساق الأدلة التي سقناها من الكتاب والسنة أو بعضها: فقد دل

الكتاب على وجوب طاعة أولي الأمر، ما لم يأمرُوا بمعصية، فتأمل قوله تعالى: ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ﴾ كيف قال وأطيعوا الرسول، ولم يقل وأطيعوا أولي الأمر منكم، لأن أولي الأمر لا يُفردون بالطاعة بل يطاعون فيما هو طاعة لله ورسوله، وأعاد الفعل -أي: أطيعوا- مع الرسول لأنه من يطع الرسول فقد أطاع الله، فإن الرسول لا يأمر بغير طاعة الله، بل هو معصوم في ذلك، وأما أولي الأمر فقد يأمر أحدهم بغير طاعة الله، فلا يطاع إلا فيما هو طاعة لله ورسوله.

وأما لزوم طاعتهم، وإن جاروا، فلأنه يترتب على الخروج عن طاعتهم من المفساد أضعاف ما يحصل من جورهم، بل في الصبر على جورهم تكفير للسيئات، ومضاعفة الأجور، فإن الله ﷻ ما سلطهم علينا إلا لفساد أعمالنا والجزاء من جنس العمل، فعلينا الاجتهاد في الاستغفار، والتوبة، وإصلاح العمل، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾. اهـ.

وقال في كتاب الحجة في بيان المحجة، للإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، الملقب قوام السنة المتوفى سنة (٥٣٥هـ).

فصل

في بيان منع الخروج على أولي الأمر

ثم أورد في هذا الفصل أحاديث تدل على منع الخروج، منها حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «سيليكم بعدي ولالة، فيليكم البرُّ ببرِّه، ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلُّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلهم، وإن أساءوا فلهم وعليهم»^(١). هذا الحديث ضعَّف المحقق سنده ونقل تضعيفه عن محقق الكنز رقم (١٤٨٤٦).

قلت: لكن معنى المتن صحيح ومعروف من أحاديث أخرى صحيحة، أعني أن الأحاديث المشار إليها تدل على صحة معنى المتن، ولفظه قد صح في أئمة الصلاة

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط (٦٣١٠)، وقال الألباني في إرواء الغليل (٣٠٥/٢): ضعيف جداً.

بلفظ: «يصلون لكم، فإن أصابوا فلكم ولهم، وإن أخطؤوا فلكم وعليهم»^(١)، عزاه في تخريج الجامع الصغير (٧٩٥٥) إلى البخاري، ثم أورد أحاديث أخرى تدل على الموضوع الذي ترجم له، قال المحقق محمد بن محمود أبو رحيم في تعليقه على الترجمة السابقة الذكر، والتي عنوانها بفصل في بيان منع الخروج على أولي الأمر (٣٩١/٢) وهذا هو مذهب أهل الحديث، ولم يخالف في ذلك إلا المعتزلة، والخوارج، والزيدية. اهـ.

فصل

وقال أبو عبد الله: عبيد الله بن محمد المعروف بابن بطة في الإبانة الكبرى له (٣٢٨/١) في باب ذكر ما أمر به النبي ﷺ من لزوم الجماعة، والتحذير من الفرقة، بعد أن ذكر الأحاديث الواردة في الأمر بلزوم الجماعة، وذم الفرقة، ثم روى حديثاً من طريق الأعمش، عن عمرو بن مرة الجملي، عن خيثمة بن عبد الرحمن الجعفي الكوفي قال: قال عبد الله: إنه ستكون أمور مشتهات فعليكم بالتؤدة، فإنك أن تكون تابعاً في الخير، خير من أن تكون رأساً في الشر، ورواه من طريق عبيد الله بن موسى العبسي الكوفي، قال: أخبرنا مسعر بن كدام الهلالي الكوفي عن عمرو بن مرة قال: قال عبد الله... الحديث، وفي آخره: فإن يوم القيامة يوم عظيم ثم إياكم وتصرف الأخلاق، اجعلوا الوجه واحداً، والدعوة واحدة، فإنه بلغنا أنه من كان ذا وجهين، وذا لسانين، كان له يوم القيامة لسانان من نار.

وقال عثمان بن حاضر: قلت لابن عباس أوصني قال: عليك بالاستقامة، واتباع الأثر، وإياك والتبدع، وصح عن ابن مسعود أنه قال: الاقتصاد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة، وعن معاذ بن جبل إياكم والتبدع، فإن ما ابتدع ضلالة، وقال ابن عمر: كل بدعة ضلالة، وإن رآها الناس حسنة، وقال النعمان بن بشير: قال رسول الله ﷺ: «الجماعة رحمة والفرقة عذاب»^(٢)، وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه

(١) أخرجه البخاري (٦٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائده على المسند (١٧٩٨١)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣١٠٩).

لما قدم الجابية، قام خطيباً فحمد الله، وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: قام فينا رسول الله ﷺ. وفي رواية: أن رسول الله ﷺ، قام فينا كمقامي فقال: «احفظوني في أصحابي» وفي رواية: «أكرموا أصحابي فإنهم خياركم، ثم الذين يلونهم، ثم يفسو الكذب، حتى يحلف الرجل على اليمين قبل أن يستحلف، ويشهد على الشهادة قبل أن يستشهد، فمن أحب منكم بحبة الجنة فليزِم الجماعة، فإن الشيطان مع الواحد، وهو من الاثنين أبعد، ولا يخلون رجل بامرأة إلا كان الشيطان ثالثهما، ومن سرته حسنته، وساءته سيئته فهو مؤمن»^(١). اهـ.

فصل

وفي كتاب شعار أصحاب الحديث، للإمام أبي أحمد محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ المعروف بأبي أحمد، في عقيدة أصحاب الحديث، المأخوذة عن أبي رجاء قتيبة ابن سعيد، وفي تلك العقيدة (ص ٣١): والجهد مع كل خليفة، جهاد الكفار، لك جهاده، وعليه شره، والجماعة مع كل بر، وفاجر -يعني: الجمعة، والعيدن-... إلى أن قال: ولا نكفر أحداً بذنوب إلا ترك الصلاة، وإن عمل بالكبائر، ولا نخرج على الأمراء بالسيف وإن حاربوا، -والصواب: وإن جاروا- ونبرأ من كل من يرى السيف كائناً من كان. اهـ.

فصل

وقال في أصول أهل السنة، للإمام أهل السنة، أحمد بن حنبل رَوَاهُ عَبْدُوسِ ابن مالك العطار رَحِمَهُ اللهُ، شرح وتحقيق الوليد بن محمد نبيه بن سيف النصر، الناشر مكتبة ابن تيمية القاهرة (ص ٦٤): والسمع والطاعة للأئمة وأمير المؤمنين البار والفاجر، ومن ولي الخلافة واجتمع الناس عليه، ورضوا به ومن عليهم بالسيف، حتى صار خليفة وسمي أمير المؤمنين، والغزو ماض مع الأمراء إلى يوم القيامة البار

(١) أخرجه أحمد (١١٥)، وابن ماجه (٢٣٦٣) -مختصراً، والنسائي في السنن الكبرى (٩٢٢٢)، وصححه الألباني في ظلال الجنة (٨٨).

والفاجر، لا يترك، وقسمة الفيء وإقامة الحدود إلى الأئمة، ماض ليس لأحد أن يطعن عليهم، ولا ينازعهم، ودفع الصدقات إليهم جائزة نافذة، من دفعها إليهم أجزأت عنه برًّا كان أو فاجرًا، وصلاة الجمعة خلفه وخلف من ولّاه جائزة باقية تامة ركعتين، من أعادهما فهو مبتدع، تارك للآثار، مخالف للسنّة، ليس له من فضل الجمعة شيء، إذا لم ير الصلاة خلف الأئمة من كانوا برهم، وفاجرهم، فالسنّة بأن يصلي معهم ركعتين، ويدين بأنها تامة لا يكن في صدرك من ذلك شك، ومن خرج على إمام من أئمة المسلمين، وقد كان الناس اجتمعوا عليه، وأقروا له بالخلافة بأي وجه كان بالرضا أو الغلبة، فقد شق هذا الخارج عصا المسلمين، وخالف الآثار عن رسول الله ﷺ فإن مات الخارج عليه مات ميتة جاهلية، ولا يحل قتال السلطان، ولا الخروج عليه لأحد من الناس، فمن فعل ذلك فهو مبتدع على غير السنّة والطريق. اهـ.

فصل

وبما سبق ذكره من الأدلة وأقوال أهل العلم، تعلم أن الكتاب والسنّة وإجماع أهل العلم قد تطابقت واتفقت على انعقاد البيعة ووجوب الطاعة لمن ولّاه الله أمر المسلمين سواء كان برًّا أو فاجرًا، مؤمنًا أو فاسقًا، وأن قول عزام أن بيعة الفاسق لا تنعقد قول باطل لا يدل عليه دليل من كتاب ولا من سنّة، ولم يقل به أحد من أهل السنّة لا من الصحابة ولا من التابعين ولا ممن بعدهم من أهل العلم، والإيمان والاتباع، وإنما هو من قول أهل الزيغ والابتداع، وكان حين قال هذا القول تحت قيادة ورئاسة مجدي ذلك الوثني الخبيث، الذي تجاوزت وثنيته وثنية أبي جهل وأبي لهب، وغيرهم من مشركي العرب، الذين قاتلهم الرسول ﷺ واستحل دماءهم، وأموالهم، وسبى ذراريهم بأمر من ربه ﷻ حيث يقول: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. وحيث يقول: ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصِدٍ إِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. مع أن المشركين العرب معترفون بتوحيد الربوبية، لم ينازعوا فيه أبدًا، كما حكى الله ﷻ عنهم في كتابه في مواضع منه، ومن ذلك الآيات في سورة المؤمنون من الآية رقم ٨٤ إلى نهاية الآية ٨٩ قال تعالى: ﴿قُلْ

لَمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْمُونَ ﴿١﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴿٢﴾ . وكيف انعقدت بيعة مجددي الذي زاد شركه على شرك مشركي العرب الذين قاتلهم رسول الله ﷺ حتى دخلوا في الدين أفواجًا ، ولا تنعقد البيعة لمسلم موحد مؤدٍ لفرائض الله إلا أن عنده من المعاصي ما يوجب له حكم الفسق ، إن هذا لهو الباطل الذي لا يقبله أحد ممن تأمله وبالله التوفيق .

قول سحنون رَحِمَهُ اللهُ

وأختم هذه الجولة : في الرد على الشيخ عبد الله عزام في زعمه هذا بهذه القصة التي حكاها العالم النقاد الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي رَحِمَهُ اللهُ في ترجمة سحنون صاحب المدونة رَحِمَهُ اللهُ في (ج ١٢ / ٦٧) من سير أعلام النبلاء قال : وعن يحيى ابن عون ، قال : دخلت مع سحنون على ابن القصار وهو مريض - يعني : وكان قلقًا - فقال له سحنون : ما هذا القلق ؟ فقال له : الموت والقدوم على الله ، فقال له سحنون : أأنت مصدقًا بالرسول ، والبعث ، والحساب ، والجنة ، والنار ، وأن أفضل هذه الأمة أبو بكر ، ثم عمر ، والقرآن كلام الله غير مخلوق ، وأن الله يرى يوم القيامة ، وأنه على العرش استوى ، ولا تخرج على الأئمة بالسيف ؛ وإن جاروا ؟ قال : أي والله ، فقال : مُتْ إِذَا شِئْتَ مُتْ إِذَا شِئْتَ . اهـ .

القول بالخروج قول باطل ولا يعتمد على دليل

قلت : وبهذا يتبين أن قول عبد الله عزام الذي نقلته ، ورددت عليه ، وقول أصحاب المنهج الإخواني عمومًا ، في إجازتهم الخروج على الأئمة المسلمين قول باطل مخالف للنصوص الشرعية من كتاب وسنة ، ومخالف لما أجمع عليه أهل العلم المعبرين ، وما ذكرته من الآثار عن السلف ، وما نقلته عن أهل العلم من الإجماع على عدم الخروج ، وأنه لم يقل بجواز الخروج إلا الخوارج والمعتزلة ، وليسوا من الفرق الناجية ، وإنما هم من الفرق الهالكة .

يا قوم إن كنتم تريدون الحق والطريق السوي فعودوا إلى الحق ، فإنكم لا تسألون

عن أحد غير النبي الأعظم، والقرآن الذي يهدي للتي هي أقوم، إن الخروج الذي نهى عنه رسول الله ﷺ فساد ودمار وعار ونار، وسفك للدماء، وإزهاق للأرواح، وإهلاك للحرث والنسل، وسلب للأموال، واستباحة للأعراض، خوف بعد أمن، وجوع بعد شبع، وفقر بعد غنى، وذل بعد عز، وخراب بعد عمار، أما لكم عظة في الصومال وما حصل لأهلها من الخراب والدمار والتشرد في جميع الأقطار، أما لكم عظة في الجزائر، وما وقع فيها من المجازر، أما لكم عبرة فيهم وفي غيرهم ممن حولكم، أرجو أن تفكروا، وتراجعوا حسابكم قبل أن يفوت الأوان، ويعض كثير منكم أصابع الندم، ولا ينفع الندم بعد تبين الخسران، وأن الفائز هو من اتبع الهدى، واجتنب سبل الردى، والله الموفق لمن يشاء من عباده وهو الهادي إلى صراط مستقيم.

فصل

وفي مجلة الصحوة اليمنية، الخميس ٢ شوال ١٤٢٢هـ. الموافق ٢٣ إبريل ١٩٩٢م وعلى الصفحة السابعة نشر ما يلي بالخط المكبر: بيان من التجمع اليمني للإصلاح وحزب البعث العربي الاشتراكي، وبعد مقدمة قال: فقد عقدت قيادتنا التنظيميين لقاءات مكثفة في الآونة الأخيرة، بهدف تطوير العلاقات القائمة بينهما، حيث تم التوصل في نهاية هذه اللقاءات إلى وثيقة حددت أسس ومنطلقات التعاون والتنسيق في مختلف المجالات ذات الاهتمام المشترك، إن التجمع اليمني للإصلاح، وحزب البعث العربي الاشتراكي في القطر اليمني وهما يعلنان توصلهما إلى صيغة التنسيق والتعاون بينهما يؤكدان أن ذلك هو السبيل الصحيح والوحيد الذي يضمن استمرارية التجربة الديمقراطية الثورية الوليدة في بلادنا والمتمثلة بالتعددية السياسية، والحزبية، ويجذر الوحدة اليمنية ويحافظ عليها . . . الخ.

وأقول: من هو مؤسس حزب البعث العربي الاشتراكي؟ أليس هو ذلك النصراني الملحد الذي أفسد في الشام حديثاً، كما أفسد ابن سبأ في العراق قديماً، أليس هو ميشيل عفلق، وإني لأسأل كيف يجتمع الإسلام والبعث الاشتراكي، إلا إذا اجتمع الماء والنار، والرحمة واللعنة؟!

ولقد تذكرت، وأنا أقرأ هذا المقطع الذي نشر فيه توصل حزب الإصلاح اليمني

الإخواني، وحزب البعث إلى اتفاق بينهما، يجذر الوحدة اليمنية ويعمل على استمرارية المحافظة عليها، كما يقولون البيت الذي قاله بشار الخوري المسمى بقديس القومية العربية:

سلامٌ على كفرٍ يُوحِّدُ بيننا وأهلاً وسهلاً بعده بجهنم
إنها والله المآسي كل يوم نطلع من جماعة الإخوان المسلمين على سواة تفسد من
الدين قاعدته وعقيدته، فضلاً عن أحكامه وآدابه، فإننا لله وإنا إليه راجعون.

على ما يدل اتفاق حزب الإصلاح في اليمن مع البعث

إن عملهم هذا يعتبر إقراراً للإلحاد، والزندقة، والكفر الصراح، ونشراً له، وتشجيعاً لأهله، فأين هؤلاء من قوله تعالى في سورة التوبة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيَكَ هُمْ أَظْلُمُونَ﴾ (٩٣) قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسْكَنٌ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٤﴾ وقوله في سورة المجادلة: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾. والنبي ﷺ يقول: «ألا إن آل فلان ليسوا لي بأولياء، إنما أوليائي منكم المتقون، من كانوا وحيث كانوا»^(١).

وبالتالي فأفكار حزب البعث مستمدة من الشيوعية، وعقائد الإسلام وأحكامه وآدابه مستمدة من كتاب الله، ومن سنة رسوله ﷺ، وأي اتفاق مع حزب البعث فإنه يعد تنازلاً عن أحكام الشريعة وإيماناً بأفكار الشيوعيين، وذلك أعظمه كفر، وأخفه فسق، فهل يليق بمسلم فضلاً عما يزعم لنفسه أنه من الدعاة إلى الله أن يفعل ذلك

(١) تقدم تخريجه.

... ومن جهة أخرى، فهل نحن المسلمون بحاجة إلى إجراء تجارب على نظم، ودساتير جديدة، وأفكار غريبة إنها والله المآسي.

فصل

وقال الدكتور مصطفى السباعي، في مجلة حضارة الإسلام السورية (ص ٤٧٠) تحت عنوان السباعي ومعركة الدستور في نص البيان التاريخي: لقد كنت أوتر بناءً على رغبة لجنة الدستور، ورغبة المخلصين جميعاً أن يظل النقاش محصوراً بين أعضاء لجنة الدستور والمجلس التأسيسي. اهـ.

قلت: وهل دين الدولة المنتمية إلى الإسلام أساساً، تخالطها أقلية غير مسلمة، هل في انتمائها إلى الإسلام شيء يحتاج إلى مساومة.

وقال (ص ٤٧١): وحيث نزل أصحاب الرأي الثاني إلى الميدان الصحفي الشعبي، يدلون بآرائهم وحججهم، أصبح من واجبنا أن ندلي بحججنا وآرائنا وأن نُطْلِعَ الرأي العام على حقيقة فكرتنا، وأن نناقش أدلة المخالفين ونفندها، والأمر بعد ذلك كله للشعب، إذ هو مصدر كل سلطة، وسيادته هي السيادة الحاكمة، التي تتمثل في مجلسه التأسيسي وحكومته الدستورية.

قلت: في هذا الكلام تأليه للشعب حيث قال: والأمر بعد ذلك كله للشعب والله تعالى يقول: ﴿قُلْ إِنَّ أَلْأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ﴾. وقوله: وسيادته هي السيادة الحاكمة التي تتمثل في مجلسه التأسيسي وحكومته الدستورية.

قلت: هذه فكرة شيوعية، فالشيوعيون هم الذين يقولون إن الشعب هو مصدر الحكم، والدستور يستمد من رغبات الشعوب، وإن كنا نعلم أن هذه حيلة من مؤسسي هذا الفكر وكذبة منهم يضحكون بها على الشعوب، ثم يحكمون الشعوب بالحديد والنار، وقد ظهرت هذه الحيلة وبدأت تنكشف أمام كل ذي عينين، وقد تبين من هذا أن هذا الكلام مستمد من الفكر الشيوعي، أما الشريعة الإسلامية الحقة فهي تقرر أن الله خالق العباد ورازقهم وإليه الحكم فيهم، الحكم القدري الكوني من إحياء وإماتة،

ومرض وصحة، وفقر وغنى، وسعادة وشقاوة، والحكم الشرعي، الذي أنزله على السنة رسله صلوات الله عليهم وعلى خاتمهم محمد ﷺ الذي أنزل عليه الكتاب المهيمن على سائر الكتب وهو القرآن، وأوحى إليه السنة ثم أمره باتباع ذلك فقال: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۖ إِنَّهُمْ لَن يَغْنَوْا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. وما هذا من الدكتور السباعي إلا مجارات لأعداء الإسلام.

واسمع إليه يقول: الدساتير تعبر عن رغائب الشعوب، وممثليها في الإصلاح الذي يلزمها، إلى أن قال: وسنذكر فيما بعد أن الدساتير الراقية من شرقية وغربية قد نصّت على الدين في دستورها.

هل نحن بحاجة إلى دساتير؟

قلت: هل نحن المسلمين في حاجة إلى دساتير وعندنا شرع الله المتمثل في الكتاب والسنة؟ إن الواجب على كل مسلم أن يدعن لحكم الله دون غيره، وإذا كان من طلب الحكم من غير الله ورسوله في مسألة واحدة معتقداً أن حكم غير الله أحسن من حكمه كفر، فكيف بمن نبذ شرع الله وراءه، ورأى أنه غير كاف، وطلب الحكم من القانون الذي هو زبالة أذهان المخلوقين، الذين قد فتنهم الدنيا وشهواتها، والعياذ بالله، قال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا سَلِيمًا﴾. وقال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. إن الثناء على الدساتير، ومدحها بأنها راقية سواء كانت شرقية أو غربية، إنه لهو الارتكاس، والانتكاس.

القواعد الديمقراطية

واسمع إلى الدكتور السباعي يقول: إن القواعد المتبعة في دساتير العالم، وأنظمة الأحزاب، ومداولات المجالس النيابية، بل في عرف الدنيا جميعاً، أن رأي الأكثرية هو المتبع والمعمول به.

قلت: إن الواجب على العلماء، أن يُعرّفوا الناس بربهم ودينهم، وعقيدتهم، ويبينوا لهم أن شرع الله هو الذي يجب أن يحكم دون الدساتير المستوردة من الكفار، سواء كانوا شرقيين أو غربيين، يهودًا أو نصارى، أو شيوعيين، وإن لم يفعلوا فقد تركوا دينهم، وجاروا من لا يؤمن بالله، ولا بكتبه، ولا برسله، ولا باليوم الآخر، وإن مجارات من يعلم لمن لا يعلم ومتابعته على الباطل إهدار للدين ورمي له في سلة المهملات، فإلى الله نشكو ما حل بالإسلام من أهله بل ممن يزعمون أنهم من دعائه، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال في (ص ٤٧٥) من مجلة حضارة الإسلام تحت عنوان السباعي ومعركة الدستور: يتضح مما قرأناه لرؤساء الطوائف المسيحية، ومما سمعناه منهم، أن اعتراضهم ينصب على ناحيتين اثنتين.

أولاً: أن معنى دين الدولة الإسلام، وأن أحكام الإسلام ستطبق على المسلمين والمسيحيين، ولما كانت للمسيحيين عقائد، وأحكام، وأحوال شخصية تختلف عن دين الإسلام: فكيف يجبرون على دين الإسلام!!!

(قال): وهذا الفهم خاطئ من نواح عدة، أهمها أن الإسلام يحترم المسيحية، كدين سماوي، ويترك لأهلها حرية العقيدة والعبادة، دون أن يتدخل في شئونهم، أما أحوالهم الشخصية فلا يتعرض لها بحال، ولا يمكن أن يطبق عليهم أي حكم من الأحكام التي تخالف شريعتهم، أو تقاليدهم، إلى أن قال: ويترتب على ذلك أنه مع احترام الإسلام لكل ما ذكرناه فنحن لم نكتف بذكر هذه الأشياء في الدستور، بل اقترحنا أن تنص على احترام الأديان السماوية وقدسيتها، واحترام الأحوال الشخصية للطوائف الدينية، فكيف يخطر في البال أن هناك خطراً على عقيدة المسيحيين وأحوالهم الشخصية. اهـ.

قلت: لو أن الدكتور السباعي، قال هذا ما قررناه في الدستور لكان هذا أمرهين، ولم نُنْعن أنفسنا بالرد عليه ولا بالنظر فيه أصلاً، ولكن الدكتور يزعم بأنه يتكلم عن الإسلام، ويبين أحكامه، ولذلك فإن الواجب علينا أن نبين خطأه في هذه الأحكام التي نسبها إلى الإسلام، والإسلام براء منها.

هل النصرانية المحرفة دين سماوي؟

وأقول: إنه قول الدكتور إن الإسلام يحترم المسيحية كدين سماوي، ويترك لأهلها حرية العقيدة، والعبادة. اهـ.

أقول: قول الدكتور هذا يقتضي أن الإسلام أقر النصرانية المحرفة على ما هي عليه، ولم يتعرض لها بنقد، ولا تجريح، وهذا الزعم باطل نشأ عن جهل، أو مغالطة، فالله تعالى قد ذم النصرانية ذمًا بليغًا في آيات متعددة من كتابه.

انظر مثلاً إلى الآية الرابعة عشر من سورة المائدة وهي قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَىٰ أَخَذْنَا مِيثَقَهُمْ فَسَوْأَ حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾. إلى أن قال: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾. الآية السابعة عشر، وقوله في آخر سورة النساء: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أُلْقِيَتْهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَتَأْمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا ثَلَاثَةٌ انْتَهُوا خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَحْدٌ سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾. إلى غير ذلك من الآيات المصراحة بكفرهم وبالإلحاد عليهم.

ثانيًا: من قال أن النصرانية المطبقة الآن السائدة عند النصارى دين سماوي محترم، فقد كذب وافترى على الله وعلى الإسلام، وكفر بهذه الآيات التي بين الله فيها كفرهم، وبطلان ما هم عليه من التثليث، وتأليه عيسى وأمه مع الله.

ثالثًا: لو فرض أن دين اليهودية والنصرانية كانت قبل شريعة محمد ﷺ أديانًا صحيحة، ثم نزلت شريعة محمد ﷺ فنسختها لم تكن بعد ذلك صحيحة ولا محترمة. وقد دل على ذلك قول النبي ﷺ لعمر بن الخطاب حين أتى إليه بورقة من التوراة

ليقرأها على النبي ﷺ، فغضب النبي ﷺ غضباً شديداً وقال: «والله لو كان موسى بن عمران حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(١).

ما الذي يلزم على حرية العقيدة والعبادة؟

رابعاً: قوله ويترك لأهلها حرية العقيدة والعبادة.

أقول: هذه العبارة فيها تجاوز كبير إذ ليس المراد من حرية العقيدة، إلا أنه حر فيما يريد أن يعتقد من يهودية، أو نصرانية، أو مجوسية، أو وثنية، أو إلحاد، أو غير ذلك طليق فيما يشاء منها يأخذ ما يريد، ويترك ما يريد، فلا لوم عليه ولا تعنيف، ولا يجوز أن ينكر عليه أحدٌ أو يقول له أنت أخطأت، فضلاً أن يحكم عليه بحد أو تعزير كما هو مقتضى هذه العبارة، أما هل قائل هذا القول بنى قوله على الدليل الصحيح الصريح، أم أنه بناء على مجرد الهوى أو التقليد للغير؟ فهذا ما سنراه إن شاء الله.

خامساً: أمر الله ﷻ خالق الكون، وبارئ النسم، الذي بيده الخلق والأمر، تبارك اسمه، وعز سلطانه، وتعالى صفاته، أن يقاتل أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ذليلون.

قال تعالى: ﴿قَدْ نَلَّوْا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. قال القرطبي في تفسيره (ج ١٥/ ١١٥) عن يد، قال ابن عباس: يدفعها بنفسه غير مستنيب فيها أحداً. وروى أبو البخترى، عن سلمان قال: مذمومين، وروى محمد، عن قتادة، عن قهر وقال في ص (١١٣): إذا أدى أهل الجزية جزيتهم خُلي بينهم وبين أموالهم كلها، وبين كرومهم وعصرها، ما ستروا خمورهم، ولم يعلنوا بيعها من مسلم ومنعوا من إظهار الخمر والخنزير، فإن أظهروا شيئاً من ذلك أريقَت الخمر عليهم، وأدب من أظهر الخنزير. اهـ.

(١) أخرجه أحمد (١٤٧٣٦)، والدارمي (٤٣٥) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنه، وصححه الألباني في مختصر العلو (ص ٥٩)، وانظر: إرواء الغليل (١٥٨٩).

قلت: فدل ذلك أنهم ليسوا أحرارًا ولكنهم ملتزمون بشروط المسلمين عليهم التي اشترطها عليهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه كما سيأتي نقله.

فإن تحاكموا إلينا في شيء مما يوجب الحدود حكم عليهم بالحد الذي في شريعة الإسلام. وفي الصحيحين أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهوديين زنيا، وقال في رواية: «اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أضاعوا»^(١) فتبين من هذه الإشارة أن قوله: ويترك لأهلها حرية العقيدة قول باطل لا دليل عليه، وفي الصحيح أيضًا أن معاذ بن جبل قدم على أبي موسى الأشعري فوجد عنده رجلًا مربوطًا، أو قال: موثقًا فقال معاذ: ما شأنه؟ قال أبو موسى الأشعري: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم راجع دينه سوء، فقال معاذ بن جبل، والله لا أنزل حتى يقتل، قضاء الله ورسوله. فتبين بأنه إذا دخل في الإسلام ثم تركه وارتد إلى دينه الأول فإنه يقتل ولا تقبل منه جزية ولا غيرها، ولو افتدى بجميع ماله، وهذا يتنافى مع الحرية التي زعمها السباعي.

ولست أريد التقصّي في بحث هذا الموضوع، وإنما أردت بيان بطلان ما ذهب إليه الإخوان المسلمون في حكم الأقباط، وأنهم لم يرجعوا في أقوالهم هذه إلى كتاب ولا سنة، وإنما قلّد بعضهم بعضًا في هذه التجاوزات، والأخير يزيد على الأول حتى حكم بعضهم لليهود والنصارى بدخول الجنة كما سيأتي.

تجاوزات الإخوان تعطيل للشريعة

ولقد كتب لي شيخ من بلد عربي مجاور وهو من أصحاب الغيرة على الإسلام والاستقامة عليه كذلك أحسبه والله حسيبنا جميعًا، قال: ظهر على التلفزيون الأمريكي أحد كبار زعماء من يسمون باتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة الأمريكية في لقاء مع مذيع يهودي، سأل اليهودي الزعيم المسلم عن اعتقاد المسلمين بأن المسلم وحده هو الذي يدخل الجنة، وهو المؤمن، أما غيرهم من اليهود والنصارى فهم كفار لا يدخلون الجنة، فأجاب الزعيم بغضب قائلاً: هذا جهل ولا يقوله إلا الجاهل، ثم قال: نحن نعتقد أن اليهودي والنصراني وكل من يسير على

(١) أخرجه مسلم (١٧٠٠) من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

دين ويستقيم عليه مؤمن ، ويدخل الجنة . اهـ .

قلت : يا لها من فرية ما أعظمها ، وقد قال أهل العلم : من لم يكفر الكفار فهو كافر . ومما كتب به إليّ ذلك الشيخ الغيور حفظه الله ووفقه وهو يعمل مدرّساً في دولته ، قال : الحمد لله وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وبعد :

ففي عام ١٤٠٧هـ دعينا إلى مؤتمر للإخوان المسلمين في بلدة tobago بأمريكا الوسطى ، وكان منظمو المؤتمر جمعية Ifso وهي فرع من اتحاد الطلبة المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، وبطلب من منسق برنامج المؤتمر بدأ الضيوف بتقديم كلماتهم ، وكان أول من تكلم وزير من البلدة التي استضافت المؤتمر وكان الوزير قسيساً ، وكان مضمون كلمة الوزير بعد ثناء موجز على منظمي المؤتمر كلام حول التثليث عند النصارى ، وكان يشرح بانبساط وافتخار معنى التثليث أمام الجمهور من عامة المسلمين هناك ، وتضمنت كلمته الحث على الأخوة بين أهل الأديان والعمل لأجل محاربة الفساد كما زعم .

وعندما انتهى القسيس تقدم منسق المؤتمر س . س وأثنى على كلمة القسيس وقال : إن القسيس بكلمته المختصرة بيّن روح الإسلام ولم يحد عنه ولو قليلاً .

ولما انتهت كلمات الضيوف ، طلب مني المنسق أن أدعوا بدعاء أختتم به ، ولم أقبل إلا لأجل التنبيه على كلمة القسيس ، وثناء المنسق عليها ، ولكن ما إن بدأت أتكلم عن بطلان ما قاله القسيس ، حتى جاءتني الورقة تلو الأخرى من المنسق يدعوني لأن اقطع كلامي فوراً وأدعو ولم أعبأ به ولله الحمد ، وأنهيت كلامي ودعوت دعاءً مقتضباً ثم جلست .

واتحاد الطلبة المسلمين افتتح مؤتمره العام بمدينة انديانا بولس في العام الذي قبله بكلمة مرشح الرئاسة الأمريكية القس جيسي جاكسون ، jesse jackson وهذا مثالان فقط وإلا فالأمر صار سياسة جديدة لهم في الغرب ، هداانا الله وإياهم سواء السبيل وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

وكتبه ع م ف في ١٣ / ١٠ / ١٤١٧هـ .

فصل

وأخيراً أترى قول هؤلاء وتصرفاتهم، قول من يتبع الحق ويدعو إليه، أم هو العكس؟! لقد بلغ بهم التهور إلى أن حكموا لليهود والنصارى بدخول الجنة، ومن لازم ذلك صحة دينهم، ومن لازم القول بصحة دينهم، والقول بدخولهم الجنة تكذيب الله ﷻ في خبره. قال تعالى: ﴿فَيُظْلَمُونَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا عَلَيْهِمْ طَبِئَتْ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا ۖ وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالُ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ۝ لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَٰئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ۝﴾.

وفي الآية الأولى أخبر الله ﷻ أنه حَرَّمَ على بني إسرائيل طيبات أُحِلَّت لهم بسبب ذنوب ارتكبوها، أعظمها الصد عن سبيل الله، وأخذ الربا، وقد نهوا عنه وأكل أموال الناس بالباطل، وهذه عقوبة دنيوية، ثم قال: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾. فسماهم كافرين وأخبر أنه أعد وهياً لهم في نار جهنم عذاباً أليماً أي مؤلماً مبرحاً شاقاً والعياذ بالله، ثم استثنى الراسخين في العلم منهم والمؤمنين بالله وما أنزل على أنبيائه قبل محمد، وما نزل على محمد -صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين- والمؤمنين باليوم الآخر وأخبر أنه سيؤتيهم أجراً عظيماً في الجنة، وهذه الآية نزلت في الذين آمنوا بالنبى ﷺ وتابعوه وهي شاملة لمن آمن منهم بما ذكر قبل نسخ شرائعهم، فمن زعم أنها شاملة لمن جاء منهم بعد نسخ شرائعهم فقد افترى على الله أعظم الفرى، وكفر بما جاء به النبى المصطفى ﷺ.

قال ابن كثير رَحِمَهُ اللهُ: قال ابن عباس رَحِمَهُ اللهُ: أنزلت -يعني هذه الآية: ﴿لَكِنَّ الرَّاكِبِينَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ﴾- في عبد الله بن سلام، وثعلبة بن سعيه، وأسد بن عبيد، الذين دخلوا في الإسلام، وصدقوا بما أرسل الله به محمداً ﷺ. اهـ.

فصل

ومن زعم أن النصارى القائلين بالتثليث والمؤلهين لعيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام -، وأمه البتول الصديقة عليها السلام، والذين ينسبون إلى الله - عز وجل وتعالى وتقدس - الولد، من زعم أن أصحاب هذه العقائد على دين صحيح يرضاه الله ويدخل أهله الجنة، فقد كذب وافترى وأعظم على الله الفري، وكفر بما أنزل على محمد بن عبد الله النبي الهاشمي عليه السلام، بل إنه بعد بعثة محمد عليه السلام من لم يتبعه فهو كافر من أي دين كان.

وأخيراً؛ فإني أرى أن الدكتور السباعي، هو الذي وضع بذور المساواة بين المسلمين والنصارى حين وضع الدستور السوري، وكان هو الرجل المنظور إليه في اللجنة، ثم تناما هذا الموضوع عند الإخوانيين حتى سواوا النصارى بالمسلمين في صحة الدين، وفي دخول الجنة، هذا ما يظهر لي وهو ليس ببعيد عن الحقيقة، فاسمع إليه يقول في (ص ٤٧٦) من مجلة حضارة الإسلام في معرض الرد على من زعم من المسيحيين أنه إذا نص الدستور على أن دين الدولة هو الإسلام، فإن ذلك يؤدي إلى العداء للنصارى ودينهم، وانتقاص حقوقهم، والنظر إليهم نظراً يختلف عن أتباع الدين الرسمي فقال: «وهذا خطأ بالغ أيضاً فليس الإسلام ديناً معادياً للنصرانية حتى يكون النص عليه عداها بل هو معترف بها ومقدس لسيدنا المسيح عليه السلام». اهـ.

قلت: النصرانية الموجودة الآن على الساحة غير الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام فالمسيح جاء بالتوحيد قال تعالى عنه - صلوات الله وسلامه عليه - أنه قال لقومه بني إسرائيل: ﴿يَبْنَى إِسْرَءِيلَ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّكُمْ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنْصَارٍ﴾ ودين النصرانية الموجودة الآن مخالف لدين المسيح عليه السلام بعيد عنه كل البعد ومن اعترف بدين التثليث وتأليه المسيح وأمه وزعم أن الإسلام يحترم هذا الدين ويعترف به ويراه حقاً وصواباً؛ فإنه ضالٌّ مضلٌّ كاذب مفترٍ على الله وعلى ورسوله وعلى الدين الإسلامي.

وأما المسيح عيسى بن مريم الصديقة البتول فإن تعظيمه، وإجلاله، وتوقيره

واجب، لأنه نبي مرسل من أولي العزم ولا يرتبط الإيمان به بالإيمان بالنصرانية الموجودة المبنية على الوثنية. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ءَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمَّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعَلَّمَ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمُ الْغُيُوبِ ﴿١٧١﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١٧٢﴾ إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَلَهُمْ عَذَابُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٧٣﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧٤﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧٥﴾. ومن هنا نعلم أن شريعة التثليث، وشريعة النبوة، والتأليه لعيسى عليه السلام، وأمه، أن هذه العقائد عقائد كفرية وثنية لا تمت إلى دين عيسى عليه السلام بصلة، فمن زعم أن الإيمان بها مرتبط بالإيمان بعيسى، أو أن الإيمان بعيسى عليه السلام مرتبط بتلك العقائد الضالة، فهو ضال مضل كافر بالله وشرائعه ورسله من حقه أن يُستتاب فإن تاب وإلا قتل كافراً مرتداً.

فصل

وأخيراً؛ فإني سأختم بكتابة الفقرات التي نص عليها الدكتور السباعي في الدستور. وقال في نفس الصفحة (٤٧٦) من حضارة الإسلام: «وإني سأضع أمام القراء وأمام أبناء الشعب جميعاً نص المادة المقترحة في هذا الشأن، ليروا بعد ذلك أي خوف منها وأي غبن يلحق بالمسيحية فيها.

١- الإسلام دين الدولة.

٢- الأديان السماوية محترمة ومقدسة.

٣- المواطنون متساوون في الحقوق ولا يُحال بين مواطن وبين الوصول إلى أعلى مناصب الدولة، بسبب الدين، أو الجنس، أو اللغة». اهـ.

وقال الدكتور السباعي رداً على العلمانيين، الذين يعتقدون بأنه إذا نص في

الدستور على أن دين الدولة، الإسلام، بأن ذلك سيجعل رجال الدين يسرون أمور الدولة فقال: ونحن نجيبهم بأن النص على دين الدولة الإسلام، ليس معناه أن يُسيّر رجال الدين أمور الدولة، إلى أن قال: وأعود فأقول لهؤلاء إن البعيع الذي يخوفون به بعض المثقفين من أن النص على الإسلام ديناً للدولة يجعل لرجال الدين الكلمة الأولى في البلاد، هو بيع لا يخيف إلا من خيم الوهم الباطل على عقولهم، فليس في الإسلام رجال دين تكون لهم الكلمة العليا، ونحن لا نريد بهذا النص أن نلغي البرلمان، ونطرد ممثلي الأمة ونلغي القوانين كلياً، كونوا مطمئنين فسيظل كل شيء على حاله، سيبقى مجلسنا ونوابنا، وقوانيننا، وأنظمتنا ولكن... مع سمو الروح، ونظافة اليد، واستقامة الأخلاق، وعيش الإنسان الكريم. اهـ. من مجلة حضارة الإسلام (ص ٤٧٩) بعنوان السباعي ومعركة الدستور.

الرد على السباعي

وأقول: إن كلام السباعي هذا خطير وخطير جداً، إن لم يكن أخرجه من الإسلام فإنه قد أوبقه وأوقعه في إثم عظيم؛ ذلك لأن تسميته لرجال الدين بـ«بُعيعاً» يدل على استخفافه برجال الدين وسخريته منهم فالله حسبي. وإن السخرية من رجال الدين والاستخفاف بهم ردة عن الإسلام وكفر به والعياذ بالله.

ثانياً: قوله ونحن لا نريد بهذا النص أن نلغي البرلمان، ونطرد ممثلي الأمة ونمحو القوانين كلياً كونوا مطمئنين.

قلت: وإذا كان القصد من دين الدولة، الإسلام، هو أن يوضع في رأس القائمة إسكاتاً للمسلمين الذين يطالبون بحكم الإسلام، ثم توضع تحته القوانين شرعية كانت أو غريبة، فهذا نفاق وحكم بغير ما أنزل الله.

ثالثاً: إن من يحكم بالقانون بدلاً عن الشريعة الإسلامية معتقداً صلاحيته للمجتمع، وملاءمته للزمن أكثر من الشريعة الإسلامية فقد كفر بالشريعة الإسلامية

المنزلة من رب الأرض والسماء، ولا ينفعه أن يكتب في رأس القائمة دين الدولة الإسلام.

رابعاً: أما من فعل ذلك رغبة أو رهبة لضغوط خارجية مع اعتقاده في قرارة قلبه أن الشريعة الإسلامية هي الحق وما سواها باطل، فهو فاسق ناقص الإيمان، ولا يحكم عليه بالكفر المخرج من الملة، إلا أن كلام السباعي يدل أنه فعل ذلك مختاراً وذلك يبعث الشك والريبة في موقفه من الإسلام فالله المستعان.

خامساً: قوله «سيبقى لنا مجلسنا، ونوابنا، وقوانيننا، وأنظمتنا، ولكن . . . مع سمو الروح، ونظافة اليد، واستقامة الأخلاق».

وأقول: هيهات يأبى الله أن يكون ذلك إلا في ظل الشريعة الإسلامية الحققة المنزلة من عنده تعالى على رسوله وخيرته من خلقه محمد بن عبد الله -صلوات الله وسلامه عليه- أما بدون الشريعة الإسلامية، فلا سمو للروح، ولا نظافة لليد، ولا استقامة للأخلاق، والتجربة خير شاهد.

ثم قال: «هذا مع العلم بأن مسألة التشريع غير مسألة دين الدولة، فليس لوضع دين الدولة من غرض إلا بصيغ الدولة بصبغة روحية، خلقية تجعل النظم والقوانين منفذة من الشعب بوازع نفسي خلقي، ومن أغراض هذه المادة تقوية الصلات بيننا وبين إخواننا العرب، والتعاون بيننا وبين الشرق الإسلامي».

وأقول: هذا هو النفاق بعينه وهو استخدام الدين لأغراض دنيوية، إن المنافقين الذين كانوا في زمن النبي ﷺ كانت هذه هي أغراضهم وهو استخدام الدين لأغراض دنيوية.

لقد أوضح الدكتور السباعي، أن المقصد من جعل دين الدولة الإسلام ليس العمل بتعاليم الدين، وتحكيم شريعته، وجعله نبراساً يحتذى وقدوة يُقتدى ونموذج هداية تتبع.

فقد طمأن الذين يريدون محو كل أثر للدين، وإلغاء كل سلطة له ولأهله، بقوله: ونحن لا نريد بهذا النص أن نلغي البرلمان ونطرد ممثلي الأمة ونمحو القوانين كلياً،

كونوا مطمئنين فسيظل كل شيء على حاله .

بل أراد زعيم الإخوان المسلمين في سوريا ومرشدهم أن يبين للعلمانيين والبعثيين بأنه أعظم منهم دهاءً وخبثاً ومكرًا بالدين وأهل الدين ومن يريدون الدين فسيقنع من يريدون الدين بهذا العنوان «دين الدولة الإسلام» وسينفذ ما يريدون من القوانين والتشريعات المدنية من وراء ذلك، وبهذا تعلم أنه قد أثخن في الدين أكثر من أعدائه المتظاهرين بالعداوة له، ويتبين ذلك من قوله: وخلاصة القول أننا لا نريد انقلاباً في قوانيننا الحالية، وإنما نريد التقريب بينها في التشريعات المدنية وبين نظريات الإسلام الموافقة لروح هذا العصر ولأصدق النظريات الحقوقية السائدة فيه، فإذا اتفق التشريع الإسلامي مع النظريات الحديثة فهل تجدون حرجاً في الأخذ به تراثاً قومياً عربياً تعتزون به وتفأخرون .

فانظر إلى كلامه تجد أنه لا يمت لروح الإسلام بصلة إن كلامه لا يدل على أن الإسلام دين سماوي وتشريع إلهي، ضمن الله ﷻ لمن أخذه بإيمان واتبع تعاليمه بإخلاص، العزة في الدنيا والسعادة في الآخرة، بل سمى تشريعاته وتعاليمه نظريات، وسمى القوانين المدنية تشريعات، وقرر الأخذ بما وافق من نظريات الإسلام والتشريعات المنزلة من السماء ودين الرسول محمد ﷺ بقوانين الأرض، وحثالة الأذهان، لأنه إذا قرر الأخذ بما وافق القوانين من تعاليم الإسلام فقد جعل القوانين أكمل من تعاليم الإسلام التي نزلت من السماء، وهذا من أعظم الكفر بتعاليم السماء ودين الرسول ﷺ، بل أن من جعل شريعة الله مساوية للقوانين كفر كفرة اعتقادياً يخرج من الملة، ويجعله مخلداً في النار، وقد عدَّ الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله ذلك ناقضاً من نواقض الإسلام، فقال: الرابع من نواقض الإسلام، من اعتقد أن غير هدي النبي ﷺ أكمل من هديه، أو أن حكم غيره أحسن من حكمه، كالذي يفضل حكم الطواغيت على حكمه .

قلت: والأدلة على كفر من اعتقد هذا الاعتقاد كثيرة في كتاب الله، وفي سنة رسوله ﷺ منها قول الله تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ . وقوله: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ

لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٤٧﴾ . وقوله : ﴿وَيَقُولُوا ءَامَنَّا بِاللَّهِ
وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مِّنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ
وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٤٩﴾ وَإِنْ يَكُنْ لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٥٠﴾ أَفَى قُلُوبِهِمْ
مَرَضٌ أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٥١﴾ . وقال تعالى :
﴿الرَّ كِتَبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ
الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٥٢﴾ . وقال سبحانه : ﴿وَالْتَجَمَّ إِذَا هُوَ ﴿٥٣﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى ﴿٥٤﴾ وَمَا
يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ﴿٥٥﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى ﴿٥٦﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى ﴿٥٧﴾ . ومما سبق تعلم أن كلام
الدكتور السباعي أوقعه في ورطة عظيمة تخرج من الإسلام ، وتردي قائلها في نار
جهنم إن لم يكن تاب قبل موته بتفضيله للقوانين الوضعية على شريعة الله العليم
الحكيم ، فتأمل ما قاله في المقطعين السابقين ، وتأمل الآيات القرآنية التي تأمر باتباع
الشريعة الممثلة في الكتاب وصحيح السنة ، وتأمل ما قاله أهل العلم فيما يوجب الردة
وينقض الإسلام ، ترى الحقيقة ماثلة كفلق الصبح ، ولا يهولنك أمر أن تحكم على
شخص بما سطر يده ، أو لفظه لسانه مهما نسج حوله من هالات التقديس ، إلا أن
تكون مجلة حضارة الإسلام السورية قد نسبت إليه هذا المقال زوراً وبهتاناً وزورت
اسمه ظلماً وعدواناً ، ولا إخال ذلك يكون بل قد جاء في نهاية المقال المعنون
بعنوان : السباعي ومعركة الدستور ، دمشق ٢١ ربيع الثاني ١٣٦٩ هـ الموافق ٨ شباط
١٩٥٠ م .

وبذلك تعلم أن هذا قول لسانه ونسج ذهنه وكتابة قلمه ، لم يظلمه به أحد ،
ولا زوره عليه مزور ، فقد كتب هذا قبل حوالي ٤٧ سنة ونُشر في حياته ولم ينكره
وما زال منشوراً من ذلك الزمان إلى الآن .

واسمع إليه يقول في (ص ٤٧٩) من مجلة حضارة الإسلام : «ويعترض بعض
الحقوقيين بأن جعل دين الدولة : الإسلام ، يلغي القوانين الحالية ويضطرنا إلى تنفيذ
الحدود الإسلامية من قطع يد السارق وجلد الزاني» قال : وهذا قول خاطئ فنحن
لا نفكر قطعاً بالدعوة إلى تنفيذ الحدود ، لأن الإسلام دين كامل ، لا يظهر صلاحه
إلا في مجتمع كامل ، ومن كمال المجتمع أن يشبع كل بطن ويكتسي كل جسم ،

ويتعلم كل إنسان، ويكتفي كل مواطن، فإذا وقعت السرقة بعد ذلك مثلاً وقعت شرّاً محضاً لا يقدم عليه إلا العريقون في الإجرام، والإسلام يريد أن يهرب هؤلاء. اهـ.

وأقول: يجب أن نفكر هل السُّراق الذين قطعت أيديهم في عهد النبوة كانوا كما وصف الدكتور أم كانوا يأكلون الشعير ويلبسون الشعر إلى أن قال: «أما الحدود الإسلامية فلا تستلزمها هذه المادة بدليل، أن مصر والعراق وضعتا هذه المادة في دستوريهما منذ ربيع قرن، ولم تفكرا بإقامة الحدود الإسلامية هذا ما نصرح به علناً لا مجاملين ولا مواربين» اهـ. من مجلة حضارة الإسلام.

وأقول: إن قول السباعي «فنحن لا نفكر قطعاً بالدعوة إلى تنفيذ الحدود» نفي حتى لمجرد التفكير في الدعوة إلى تنفيذ الحدود، وهذا يدل دلالة واضحة على عدم رغبته في إقامة الحدود، ولست أدري كيف يتم إسلام بلا إقامة حدود؟ إن ترك الحدود مصيبة عظيمة على المسلمين وجرح كبير في إسلامهم، والحكم الشرعي أن من أنكر الحدود كفر ومن تركها لا جحداً لها لكن نزولاً على رغبة الكفار واسترضاءً لهم، مع علمه واعتقاده أن الحدود التي شرعها الله ﷻ هي الحق فهو فاسق، آت عظيمة من العظائم وكبيرة من الكبائر، وفي الصحيحين أن قريشاً لما أهمهم شأن المخزومية، قالوا: من يكلم لنا رسول الله ﷺ في شأنها؟ قالوا: ومن يستطيع ذلك إلا أسامة بن زيد، حبه وابن حبه فكلمه أسامة فغضب غضباً شديداً، ثم قال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام خطيباً فقال: يا أيها الناس إنما ضل من كان قبلكم -وفي رواية: إنما هلك من كان قبلكم- أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف أقاموا عليه الحد، وإيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»^(١).

أخي المسلم، تأمل هذا النص ترى أن النبي ﷺ عدّ ضللاً وهلاكاً إقامة الحد على الضعيف وتركه على الشريف، فكيف بمن ترك إقامة الحد فلم يقمه على الشريف ولا وضع، وكيف بمن لم يفكر في إقامة الحدود أصلاً، حتى ولا مجرد تفكير -كما قال الدكتور السباعي- فنحن لا نفكر قطعاً بالدعوة إلى تنفيذ حدود . . وهكذا يصرح

(١) أخرجه البخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨) من حديث عائشة رضي الله عنها.

أحد قادة الإخوان المسلمين بتعطيل الحدود، وهم يتظاهرون بالمطالبة بتحكيم الشريعة، فأين هو تحكيم الشريعة من هذه التصريحات، ترى هل بقي مع هذا من الاهتمام بالإسلام شيء؟!! فإننا لله وإنا إليه راجعون.

فصل

جاء في جريدة الحياة المصرية بتاريخ السبت ١٢ نيسان (أبريل) ١٩٩٧م الموافق ٥ ذي الحجة ١٤١٧هـ. تصريح لمرشد الإخوان المسلمين في مصر حاليًا مصطفى مشهور، بعنوان «أبناء الوطن مسلمين ومسيحيين متساوون في الحقوق والواجبات» وتحت مرشد الإخوان يوضح الموقف من الأقباط -أي: موقف جماعة الإخوان من الأقباط-.

ومن النقاط التي تطرق إليها بالبيان حسب زعمه قوله ورأيه في مسألة الجزية يقوم على أنها ضريبة لتولي المسلمين الدفاع عن المسيحيين بدلًا من الدفاع عن أنفسهم. ثانيًا: ذكر في البيان أن لجنة من منظري الإخوان أعدت بيانًا قام مشهور بالتوقيع عليه وبعث به إلى الأهرام يقصد منه تصحيح الموقف، واعتذر مشهور في بيانه أن تصريحاته الأولى نشرت وبها تشويش في المفاهيم مشيرًا إلى أن تفسير الآية القرآنية الواردة في سورة التوبة بخصوص الجزية مستقر على أنه خاص بمن حارب الإسلام والمسلمين.

وقال: الإخوة المواطنون الأقباط في مصر يخرجون عن هذا النطاق بالكلية ومنذ أجيال متلاحقة، وجميع أهل مصر يعيشون معًا مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.

قلت: ما كنت أظن أن مسلمًا يتلاعب به الشيطان إلى هذا الحد، فيفسر القرآن حسب مزاجه ورغبته، فتارة يقول: إن الجزية إنما جعلت ضريبة مقابل حماية المسلمين لهم بدلًا عن حمايتهم لأنفسهم، وذلك يعني أنهم إذا قاموا بحماية أنفسهم سقطت عنهم الجزية، وتارة يقول: إن الجزية إنما فرضت على من حارب الإسلام

والمسلمين، وأقباط مصر ليسوا كذلك فلا تجب عليهم وهذا قول في كتاب الله بالرأي الذي لا يستند إلى دليل، ويظهر أن هذا الرأي يقصد منه صاحبه مجاملة الأقباط، فويل لمن يقول في كتاب الله برأيه.

ثالثاً: تسويته بين الكافرين والمسلمين في الواجبات والحقوق حيث يقول: الإخوة المواطنون الأقباط في مصر يخرجون عن النطاق بالكلية ومنذ أجيال متلاحقة وجميع أهل مصر يعيشون معاً مواطنين متساوين في الحقوق والواجبات.

وقال: فالدفاع عن الوطن مما يأمر به الدين الإسلامي وأن يدافع المواطن غير المسلم عن وطنه المصري فهو إذن يشارك المواطن المصري في الدفاع عن وطنه ولا مجال لأي تفرقة.

وقال: في البند الثاني من والوفاق الوطني إننا لا نشتغل بتكفير أحد، ونقبل من الناس ظواهرهم وعلايتهم فنحن دعاة لا قضاة.

قال: كنا أعدنا التذكير بموقفنا الثابت والمعروف بخصوص إخواننا الأقباط وأنهم إخوة مشاركون في الكفاح لتخليص هذا الوطن من الاستعمار الأجنبي، فهم لهم حق المواطنة كاملة، المادي منها والمعنوي، فانظر كيف صرّح بأخوة الأقباط للمسلمين وهذا يتعارض مع الولاء والبراء في الإسلام، وأكد مشهور أن الإخوان المسلمون يقرون حرية الاعتقاد الخاص، وحرية إقامة الشعائر الدينية لجميع الأديان السماوية المعترف بها، حرية الرأي والجمهور به والدعوة السلمية إليه في نطاق النظام العام والآداب العامة، وقال: إن أبناء الوطن مسلمين ومسيحيين هم مواطنون متساوون في الحقوق والواجبات، وعلى وجه الخصوص في تولي الوظائف العامة، ومن حق كل مواطن ومواطنة المشاركة في الانتخابات سواء حق التصويت والترشيح وتولي عضوية المجالس النيابية.

واختتم مشهور بيانه قائلاً: الإخوان المسلمون الذين أكدوا ذلك في أدبياتهم منذ قيام جماعتهم في عام ١٩٢٨م حتى اليوم استنكروا ويستنكرون أي عدوان على فريق من أبناء هذا الوطن، أو انتقاص لحقوق أي من أنبائه يهمهم أن يؤكدوا هذه الأصول

والمعالم المستندة إلى فهمهم للكتاب والسنة والتزامهم لشرع الله ﷻ .

قلت : فأني تميع للإسلام أعظم من هذا التميع ، يرى الإخوان المسلمون أن المسلمين والمسيحيين واليهود سواء مستوون في الحقوق والواجبات .

إن هذا تضييع لحقوق المسلم وتسوية له بالكافر ، وهذا يُعد اعتداءً على الدين وأهله ، وإنكاراً لحقوق المسلمين التي منحهم الله إياها بالإسلام ، وحتى كلمة كافر لا يريد الإخوان أن يقولوها لليهود والنصارى خوفاً عليهم من جرح المشاعر ، وفي البند الثاني من الوفاق الوطني يقولون أنهم لا يشتغلون بتكفير أحد .

ويقال للإخوان إذن : فما تقولون في الآيات التي صرح الله فيها بكفر اليهود والنصارى من القرآن ، مثل قوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاءُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ۝ ﴾ .

لقد سمى الله ﷻ أهل الكتاب من يهود ونصارى ، سماهم كافرين وسمى المشركين كافرين ، وأخبر أنهم جميعاً في نار جهنم خالدين فيها ، وأخبر أنهم شر البرية - أي : شر الخليقة - ، وأخبر أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات خير البرية ، وأخبر أنهم في جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه .

إذن فهل يستوي المؤمنون والكفار؟! هل يستوي من آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، وبالقدر خيره وشره؟ ومن كفر بذلك كله أو بعضه هل يستوي خير البرية وشر البرية؟ هل يستوي من رضي الله عنه ومن سخط عليه؟!

وعلى هذا فأين قول النبي ﷺ : «إذا لقيتموهم في طريق فاضطروهم إلى أضيقه»^(١)؟ وكذلك نهيه ﷺ أن يبدءهم المسلم بالسلام؟

(١) أخرجه مسلم (٢١٦٧) .

ثم أين شروط عمر رضي الله عنه التي شرطها على الذميين؟!؟

ثم أين أمر الله ﷻ في قوله: ﴿قَتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. إن الجزية عنوان الصغار والذلة على أهل الكتاب من اليهود والنصارى، ويلحق بهم المجوس لاختياره البقاء على الكفر، فأوجب الله ﷻ عليهم الجزية وأعفاهم من القتل، فهم إنما يعطونها مقابل إعفائهم من القتل، لتكون عنواناً لإذلالهم وتصغيراً وتحقيراً لهم، وإعلاناً لتبعيةهم لحكم الإسلام.

قال القرطبي (٨/ ١٠٩-١١٠): وخص أهل الكتاب بالذكر إكراماً لكتابهم ولكونهم عالمين بالتوحيد، والرسول، والشرائع، والملل، وخصوصاً ذكر محمد ﷺ وملته وأمته؛ فلما أنكروا تأكدت عليهم الحجة وعظمت منهم الجريمة، فنبه على محلهم ثم جعل للقتال غاية وهي إعطاء الجزية بدلاً عن القتل. اهـ.

وقال ابن كثير في تفسير الآية (٢/ ٣٤٧): قوله تعالى: ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ﴾؛ أي: إن لم يسلموا عَنْ يَدٍ؛ أي: عن قهر لهم وغلبة وَهُمْ صَاغِرُونَ؛ أي: ذليلون حقيرون مهانون، فلهذا لا يجوز إعزاز أهل الذمة، ولا رفعهم على المسلمين، بل هم أذلاء صغرة أشقياء، كما جاء في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تبدءوا اليهود والنصارى بالسلام، وإذا لقيتم أحدهم في الطريق فاضطروه إلى أضيقه»^(١). ولهذا اشترط عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه تلك الشروط المعروفة في إذلالهم، وتصغيرهم، وتحقيرهم، وذلك مما رواه الأئمة الحفاظ من رواية عبد الرحمن بن غنم الأشعري قال: كتبت لعمر بن الخطاب رضي الله عنه حين صالح نصارى من أهل الشام: بسم الله الرحمن الرحيم: هذا كتاب لعبد الله عمر أمير المؤمنين من نصارى مدينة كذا وكذا، إنكم لما قدمتم علينا سألناكم الأمان لأنفسنا، وذرائعنا، وأهل ملتنا، وشرطنا لكم على أنفسنا ألا نحدث في مدينتنا، ولا في ما حولها ديراً ولا كنيسة، ولا قلاية، ولا صومعة راهب، ولا نجدد

(١) تقدم تخريجه.

ما حرب منها، ولا نحبي منها ما كان حِطًّا للمسلمين، وألا نمنع كنائسنا أن ينزلها أحد من المسلمين في ليل ولا نهار، وأن نوسع أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ننزل من مَرَّبنا من المسلمين ثلاثة أيام، نطعمه ولا نؤوي في كنائسنا، ولا منازلنا جاسوسًا، ولا نكتم غشًّا للمسلمين، ولا نعلم أولادنا القرآن، ولا نظهر شرًّا، ولا ندعو إليه أحدًا، ولا نمنع أحدًا من ذوي قرابتنا الدخول في الإسلام إن أراد، وأن نوَقِّر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا إن أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من ملابسهم، في قلنسوة، ولا عمامة، ولا نعلين، ولا فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتني بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئًا من السلاح، ولا نحمله معنا، ولا ننقش خواتمنا بالعريية، ولا نبيع الخمر، وأن نَجْزَّ مقادير رءوسنا، وأن نلتزم زِينًا حيثما كنا، وأن نشد الزناير على أوساطنا، وألا نظهر الصليب على كنائسنا، وألا نظهر صُلبنا، ولا كتبنا في شيء من طرق المسلمين ولا أسواقهم، ولا نضرب نواقيسنا في كنائسنا إلا ضربًا خفيًّا، وألا نرفع أصواتنا بالقراءة في كنائسنا في شيء من حضرة المسلمين، ولا نخرج سعانين ولا بعوثًا، ولا نرفع أصواتنا مع موتانا، ولا نظهر النيران معهم في شيء من طرق المسلمين، ولا أسواقهم، ولا نجاورهم بموتانا، وأن نرشد المسلمين ولا نطلع عليهم في منازلهم قال: فلما أتيت عمر رضي الله عنه بالكتاب زاد فيه: ولا نضرب أحدًا من المسلمين شرطنا لكم ذلك على أنفسنا وأهل ملتنا وقبلنا عليه الأمان، فإن نحن خالفنا في شيء مما شرطناه لكم ووظفنا على أنفسنا فلا ذمة لنا، وقد حل لكم منا ما يحل من أهل المعاندة والشقاق. اهـ.

وبهذا تعلم أن ما قرره مرشد الإخوان المسلمين في مصر مصطفى مشهور، وما قرره منظرو هذا المنهج هناك وارتضاه مرشدهم المذكور ووقع عليه وما احتوى عليه من فقرات كله باطل مخالف لكتاب الله ولسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنة خلفائه الراشدين من بعده رضي الله عنهم، ولما أجمع عليه أهل العلم من عصر الصحابة إلى يومنا هذا، وأن ذلك يدل على واحد من أمرين وهما: إما جهلهم بالشرع الإسلامي جهلاً فظيلاً، وإما تجاهلهم له وإرضائهم للأقباط بإسقاط الله عز وجل، فإن كانوا جاهلين بالشرع فكيف

يزعمون أنهم يدعون إليه وهم جاهلون به! وإن كانوا يعلمون أحكام الشرع ولكنهم قصدوا مخالفتها إرضاءً للنصارى؛ فهم ظالمون كاذبون فيما يدَّعون من الدعوة إلى الله، فلو كانوا دعاة إلى الله كما زعموا لأرضوا الله بإسخاط الناس ولم يسخطوا الله بإرضاء الناس.

لقد خالفوا الشرع الإسلامي في بيانهم هذا من عدة وجوه:

الوجه الأول: إسقاطهم لحكم الجزية الذي أمر الله به في كتابه ومخالفتهم لكتاب الله بذلك.

الوجه الثاني: نفيتهم للصغار والذلة عن أهل الذمة الذين ألزمهم الله بها بسبب إعراضهم عن الإسلام واختيارهم البقاء على دينهم الباطل.

الوجه الثالث: تفسيرهم للقرآن - أعني آية الجزية - بأهوائهم وبغير ما فسرها به الصحابة - رضوان الله عليهم - والتابعون ومن بعدهم - رحمهم الله -.

الوجه الرابع: حكمهم بالمساواة بين المسلمين والكافرين حين قالوا أن المسلمين والأقباط متساوون في الحقوق والواجبات وهم بذلك أذلُّوا من أعزه الله وأعزوا من أذلَّ الله ورفعوا من وضع الله ووضعوا من رفع الله وتركوا الحق ودانوا بالباطل.

والوجه الخامس: أنهم قد أضاعوا حقوق المسلمين وأهدروها حين زعموا أنهم متساوون هم والنصارى في الحقوق والواجبات، فهل هذا حال من يحب الإسلام ويدعو إليه ويدافع عنه وعن أهله؟ أم حال من لا يبالي بالإسلام ولا بالمسلمين!!!
الوجه السادس: أنهم حين تحاشوا أن يطلقوا اسم الكفر على النصارى الأقباط لا يخلو حالهم من أمرين:

الأمر الأول: إما أن يكونوا فعلوا ذلك مجاملة لهم - أي: للأقباط - وخوفاً عليهم من جرح المشاعر أو خوفًا من أذيتهم أو رغبة في إبقاء المودة التي بينهم مع أنهم معتقدون بأن حكمهم الكفر؛ ولكن لا يريدون التصريح به لهم لغرض من هذه الأغراض؛ فهم

جاهلون فساق أرضوا الأقباط بسخط الله والله يتولى جزاءهم على ذلك .

الأمر الثاني : أن يعتقدوا في أنفسهم أنهم ليسوا كفاراً ولا يستحقون هذا الوصف فهم بذلك قد كفروا بالآيات القرآنية التي وصفتهم بالكفر وحدهم كقوله تعالى في سورة المائدة في الآيتين الثانية والسبعين والثالثة والسبعين : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ عِبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٦﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهُ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ وكقوله تعالى : ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمُّهُ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وكقوله في سورة المائدة أيضاً الآية السابعة والسبعين ﴿قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾ . إلى غير ذلك من الآيات التي خصتهم بالكفر ومن الآيات التي حكمت عليهم ضمن أهل الكتاب قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ . ومن هنا تعلم أن قول مرشد الإخوان ومنظروهم : لا نشتغل بتكفير أحد ، فنحن دعاة لا قضاة ، أنه قول ضلال من أقطع الضلال .

الوجه السابع : قولهم بحرية الاعتقاد الخاص ، كما أكد ذلك مرشدهم مصطفى مشهور عنهم ، وكما ذكرت الجريدة فيما نقلناه سابقاً عنها ، وهذا أمر خطير جداً أخطر من كل ما سبق لأنه يوجب كفر من قال به أو اعتقده كفراً يخرج من الملة ، وسأعود إلى هذا الموضوع بعد نقلي تمويهات نشرها سالم البهنساوي وبعد الرد عليها وبالله التوفيق .

فصل في رد شبهات ألقاها سالم البهنساوي في مجلة المجتمع تحت عنوان (رأي)

قال: لم تكن الجزية اختراعاً إسلامياً فهي نظام سابق على الإسلام ودولته، فنظمها الإسلام وهذبها، وجعلها اختياراً للشعب الذي أصرّت قيادته على الحرب، ثم هُزمت، فليس صحيحاً أن الجزية ضريبة على كل مواطن وليس صحيحاً أنها نظام إجباري.

قلت: الجزية شرع إلهي أنزله الله ﷻ من فوق عرشه على لسان عبده ورسوله محمد ﷺ في آية تتلى إلى يوم القيامة، وجعل ذلك حكماً في أهل الكتاب، وهم اليهود والنصارى وألحق بهم المجوس، لأن النبي ﷺ قال: «سنوا بهم سنة أهل الكتاب»^(١) وذلك مقابل رفع القتل عنهم وتأمين المسلمين لهم على حياتهم وحياة نساءهم وأولادهم وأموالهم مقابل شروط تشترط عليهم، وهي الشروط التي شرطها عليهم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس بلازم أن نعتذر عن هذا الحكم الرباني أنه كان موجوداً قبل الإسلام، معمولاً به بين الأمم، وأن الإسلام قلّد غيره في ذلك.

إن الاعتقاد بمثل هذا دفعا لقالة القائلين الذين يريدون الطعن في الإسلام وأحكامه ليزهدوا فيه ويصدوا عنه ويصرفوا من أطاعهم عن اعتناقه، إن هذا الاعتذار هو نفسه جريمة لا تقل شناعة عن القالة التي أريد بها الطعن فيه، ذلك لأن هذا الاعتذار بهذا الأسلوب تضمن أن حكم الإسلام بالجزية ليس حكماً استقلالياً نزل من عند حكيم خبير، وإنما هو مقلّد لغيره وتابع لهم.

إن الطعن على الإسلام من أعدائه قد بدأ منذ فجر الإسلام وبزوجه، فقد أنزل الله ﷻ حين حوّل نبيه إلى الكعبة قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّيْنَاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا

(١) أخرجه مالك في الموطأ (٦١٦)، والشافعي في مسنده (١٠٠٨) من حديث عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه، وضعفه الألباني في إرواء الغليل (١٢٤٨).

عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠٣﴾ فَسَمَّى الطاعنين سفهاء .

فيجب على دعاة المسلمين وعلمائهم وفقهائهم ألا يكثرثوا بالإشاعات التي يلقيها أعداء الإسلام ضد الإسلام، ولنقل لهم هذا حكم الله الذي خلقنا وخلقكم وليس من صنعنا، ونحن نؤمن بأن الله لا يشرع إلا ما فيه الخير والصلاح وبالله التوفيق .

وقال أيضاً : فالجزية ترتبط بالمعركة الحربية، ولهذا لم يُعامل يهود المدينة بنظام الجزية، فقد تضمنت وثيقة المدينة أنهم أمة مع المؤمنين وينفقون معهم .

وأقول : إن هذا الكلام فيه تمويه عجيب، فقوله الجزية ترتبط بالمعركة، كلام لا صحة له، فقد صالح النبي ﷺ أهل نجران على الجزية ولم يجر بينه وبينهم حرب، وصالح أهل البحرين على الجزية ولم يجر بينه وبينهم حرب، وقد كان النبي ﷺ إذا أمر أميراً على جيش أو سرية أوصاه في نفسه بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً، ثم قال : «اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال، أو خلال، فأيتهم ما أجابوك إليها فاقبل منهم وكف عنهم» إلى أن قال : «إن هم أبوا فاسألهم الجزية؛ فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن أبوا فاستعن بالله عليهم وقاتلهم»^(١) الحديث أخرجه أحمد ومسلم وابن ماجه والترمذي وصححه، وأورده الألباني في صحيح الترمذي بأخصر مما في المتن وقال : صحيح ورمز له باب (م) الباب رقم (٩) في دعاء المشركين، وفي صحيح البخاري من كتاب الجزية والموادعة في حديث طويل رقم (٣١٥٩) . وخرج علينا عامل كسرى في أربعين ألفاً فقام ترجمان فقال : ليكلمني رجل منكم، فقال المغيرة -يعني بن شعبة- : سل عما شئت، قال : من أنتم؟ قال : نحن أناس من العرب، كنا في شقاء شديد، نمص الجلد والنوى من الجوع ونلبس الوبر والشعر، ونعبد الشجر والحجر، فبينا

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١)، والترمذي (١٤٠٨)، وابن ماجه (٢٨٥٨)، وأحمد (٢٢٤٦٩) من حديث بريدة بن الحصيب رضي الله عنه .

نحن كذلك إذ بعث رب السموات ورب الأرضين -تعالى ذكره وجلت عظمتة- إلينا نبياً من أنفسنا نعرف أباه وأمه ، فأمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية ، وأخبرنا نبينا ﷺ عن رسالة ربنا أنه من قُتل منا صار إلى الجنة في نعيم لم ير مثلاً قط ، ومن بقي منا ملك رقابكم .

وأورد الألباني في صحيح الترمذي الباب رقم (٣٠) باب في أخذ الجزية : أن النبي ﷺ بعث خالد بن الوليد إلى أكيدر دومة فأخذ فأتوه به فحقن النبي ﷺ دمه وصالحه على الجزية ، قال الألباني رحمه الله : (حسن).

وقد تبين من هذه الأدلة أن الجزية حكم شرعي أنزله الله في كتابه وعمل به رسوله ﷺ والخلفاء من بعده حتى دب الضعف إلى أهل الإسلام بسبب المعاصي وترك الجهاد ، فمنع اليهود والنصارى والمجوس ما كان مفروضاً عليهم بالذلة والصغار لهم .

وهذه مصيبة على الإسلام والمسلمين يجب على ذوي الألباب فيهم أن يفكروا في أسبابها ، حتى يتلافوا في المستقبل ما وقعوا فيه من أخطاء لعل الله -عز شأنه وتعالى عظمتة- أن يعيد عليهم عزهم ومجدهم ويديهم على عدوه وعدوهم .

ولكن المصيبة العظمى والكارثة المدمرة ؛ أن يأتي أقوام ممن يزعمون لأنفسهم أنهم دعاة إلى الله فيجحدوا هذا الحكم أو يميعوه تزلفاً إلى أعداء الله وتقرباً إليهم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ، فأين تعظيم أمر الله وأمر رسوله ، والرضا بحكم الله وحكم رسوله وتقديمه على كل قول وكل رأي؟!

وأما قوله : ولهذا لم يعامل يهود المدينة بنظام الجزية ، فقد تضمنت وثيقة المدينة أنهم أمة مع المؤمنين وينفقون معهم .

قلت : وفي هذه الفقرة تمويه عجيب ، أو جهل فظيع ، فإن يهود المدينة قد أُجلي آخرهم سنة خمس من الهجرة بعد غزوة الخندق التي تبين فيها غدر بني قريظة ، ثم غزاهم النبي ﷺ بعد أن ترحل الأحزاب عن المدينة بأمر من الله ﷻ ، فقد جاء جبريل ﷺ إلى النبي ﷺ بعد رجوعه من غزوة الخندق وهي الأحزاب فقال له : وضعت السلاح أما إن الملائكة لم تضع السلاح ، وأمره أن يسير إلى بني قريظة فأمر النبي ﷺ

مناديه أن ينادي ألا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فحاصرهم النبي ﷺ حتى نزلوا على حكم سعد بن معاذ، فحكم فيهم أن تقتل مقاتلتهم وتُسبى ذراريهم وتغنم أموالهم، وأنزل الله فيهم سورة الحشر، وكان النبي ﷺ قد أجلى قبلهم بني قينقاع وبني النضير، وكل هذا وقع قبل سنة خمس وفي سنة خمس آخره، وآية الجزية نزلت في سنة تسع من ضمن سورة براءة، فأين يهود المدينة وأين الجزية؟! . وأيضاً النبي ﷺ عقد معهم الصلح في أول قدومه المدينة في حالة ضعف المسلمين وهي حالة لها حكمها .

وإن كان ترك الجزية أولاً ثبت بحكم شرعي، فإن نزول آية الجزية في سنة تسعة يعتبر نسخاً لذلك الحكم .

وإن قلنا أن عدم فرض الجزية على يهود المدينة في أول الإسلام، كان مبنياً على البراءة الأصلية، وهي ليست حكماً ولكنها عدم حكم، فحينئذ نقول أن نزول آية الجزية في سنة تسع يُعدّ حكماً مُبتدأً .

وأما مصالحة النبي ﷺ لأهل نجران فقد كانت في سنة تسع، لأن انصراف النبي ﷺ عن محاصرة أهل الطائف كان في ذي القعدة من سنة ثمان، ولم يبق من سنة ثمان إلا شهر ذي الحجة، وكان الشهود على كتاب النبي ﷺ الذي كتبه لهم أبو سفيان بن حرب وغيلان بن عمرو ومالك بن عوف من بني نصر، والأقرع بن حابس الحنظلي وكتب عبد الله بن أبي بكر، روى ذلك أبو يوسف في كتابه الخراج (ص ٧٢-٧٣) .

وقد تبين مما سبرته أن شرعية الجزية كانت متأخرة عن إجلاء يهود المدينة بأكثر من ثلاث سنوات، وأن قول البهنساوي بأن النبي ﷺ لم يعامل يهود المدينة بنظام الجزية، إما تمويه من البهنساوي إن كان يعلم ما ذكر أو جهل منه إن كان لا يعلمه، وكلاهما يدل على ما وراءه من سوء القصد عياداً بالله من الضلال المهلك والهوى المعمي، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

وقد ذكر الآية التي في سورة البقرة: ﴿وَقَتِّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ . وبعض آية من سورة النساء وهي قوله تعالى :

﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ . ثم قال : فلا قتال مع قوم لم يقاتلوا ، ولا مع قوم بينهم وبين المسلمين عهد ، ولا مع قوم لا عهد لهم ولكنهم يقفون على الحياد .

قلت : فمن هو الذي يقاتل بعد إذا كان كما قال المستشار البهناوي ؟!! وسترى تمويهه العجيب ، فهذه الآية أو بعض الآية التي ساقها مرتبطة بالآية التي قبلها . قال تعالى : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ (٨٩) إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءَكُمْ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يُقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ وَأَلْفَوْا إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ . فانظر إليه اقتطع من الآية الأخيرة الجزء الأخير وهو قوله تعالى : ﴿فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْهُمْ فَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ﴾ إلخ . . . وهو الذي يخص المستثنين ومن يلتحق بهم ، كدخول بني بكر في عهد قريش ، ودخول خزاعة في عهد النبي ﷺ يوم الحديبية .

فمثلاً بنو بكر لا يقاتلهم المسلمون إلا إن ابتدءوا المسلمين بالقتال ، وقد ترك الآية الأولى وخاتمتها هي الفاصلة : ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَخُذُوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ وهي عامة في جميع الكفار وترك من آيات البقرة ما بعد التي أوردها وهي قوله : ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَجِدُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجْتُمْ وَالْفَنَاءُ أَشَدُّ مِنْ الْقَتْلِ﴾ . فأين قول هذا المستشار لا قتال مع قوم لم يقاتلوا ، ولا مع قوم لهم عهد مع المسلمين ولا مع قوم لا عهد لهم ولكنهم يقفون على الحياد ؟!!!

قلت : إن جهاد الكفار دعوة للدخول في الدين ، قال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾ . قال العلماء «الفتنة الشرك» وقال تعالى : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ . وقال تعالى : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ وقال تعالى : ﴿فَإِذَا أَسْلَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرُمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَأَحْصُرُوهُمْ وَأَقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوْا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ . وقال تعالى :

﴿فَتَلَوُهمْ يَعَذِّبُهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِيهِمْ وَيَصْرُكُمُ عَلَيْهِمْ وَيَشْفُ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ﴾^(١) وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾. إلى غير ذلك من الآيات الأمرة بالقتال لجميع أجناس الكفار، مشركين وثنيين، ويهود، ونصارى وغيرهم، لم يمنع القتال إلا عن المعاهدين حتى يتم إليهم عهدهم، ثم يكونون مثل غيرهم هذا إذا لم يحصل منهم غدر ولا خيانة؛ فإن حصل منهم غدر وخيانة كان ذلك نقضاً لعهدهم كما اعتبر النبي ﷺ قتال قريش لخزاعة مع بني بكر نقضاً لعهدهم معه، قال تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنْقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾.

ولابن القيم في الهدى النبوي (٦٩/٣) وما بعدها، بحث خلاصته: أنه لما هاجر النبي ﷺ وأصحابه ووجد من المهاجرين والأنصار أنصاراً أن الله تعالى أذن له ولأصحابه في القتال ولم يفرض عليهم فرضاً فقال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُم بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾. ثم فرض عليهم بعد ذلك قتال من قاتلهم دون من لم يقاتلهم بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَتِّلُونَكُمْ﴾ ثم فرض عليهم قتال المشركين كافة بقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَتِّلُونَكُمْ كَافَّةً﴾. ثم قال: وكان محرماً ثم مأذوناً فيه ثم مأموراً به لمن بدأهم بالقتال، ثم مأموراً به لجميع المشركين، إما فرض عين وإما فرض كفاية على المشهور.

قال: والتحقيق أن جنس الجهاد فرض عين، إما بالقلب وإما باللسان وإما بالمال وإما باليد، فعلى كل مسلم أن يجاهد بنوع من هذه الأنواع أما الجهاد بالنفس ففرض كفاية، وأما الجهاد بالمال ففيه قولان والصحيح وجوبه لأن الأمر بالجهاد به وبالنفس سواء كما قال تعالى: ﴿أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾. اهـ بتصرف من الهدى النبوي (٦٩/٣ إلى ٧٢).

ونقول لفضيلة المستشار: إذا كان الأمر على ما تقول فما معنى قتال النبي الكريم ﷺ للكفار وتكثيفه للسرايا والغزوات حتى دخل الناس في دين الله أفواجا.

قال في بداية المجتهد - الفصل الثاني في معرفة الذين يحاربون -: وأما الذين

يحاربون فاتفقوا على أنهم جميع المشركين لقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾. إلا ما روى مالك أنه قال: لا يجوز ابتداء الحبشة بالحرب ولا الترك لما روي عنه عليه السلام أنه قال: «ذروا الحبشة ما وذرتكم»^(١).

وقد سئل مالك عن صحة هذا الأمر فلم يعترف بذلك، وقال: لم يزل الناس يتحامون غزوهم. اهـ.

وقد أراد المؤلف بقوله: فاتفقوا على أنهم جميع المشركين؛ أي: بما فيهم أهل الكتاب، لأن أهل الكتاب داخلون في اسم المشركين فالنصارى يقولون المسيح ابن الله واليهود يقولون عزيز ابن الله، وداخلون في اسم الكفار، لأنهم كفروا بوحدانية الله، وكفروا بنبوذة محمد عليه السلام وكفروا بالقرآن.

والضمير في قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ﴾ يعود على جميع الكفار، بدليل قوله في الآية التي قبلها: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنتُ الْأَوَّلِينَ﴾ ٢٦١ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ.

ثالثاً: وبدليل استثناء الحبشة والحبشة مسيحيون، ثم قال: إن بعض الكتاب لم يفهم معنى آية الجزية، وأخذ منها حكماً عاماً يسري على غير المسلمين جميعاً بينما هي تخص فئة خاصة جداً من أهل الكتاب فيهم نزل قول الله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾. عند نزول هذه الآية كانت جزيرة العرب قد دانت بالإسلام، وكان نصارى الروم قد تجمعوا في نحو مائة ألف مقاتل لغزو المدينة، ومن ثم كانت غزوة مؤتة في مواجهة هذا الحشد، فالجزية في النص القرآني خاصة بهذه الفئة من أهل الكتاب. اهـ.

قلت: في هذا الكلام مغالطة فاضحة وتعمية عجيبة وذو للرماد في العيون كما

(١) أخرجه أبو داود (٤٣٠٢)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٨٤)، ولفظه: دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم.

يقولون، ولا أدري ماذا يستفيد هذا وأمثاله من هذه المغالطات التي لا تليق بمن يتكلم في شرع الله ﷻ، وويل لمن يتكلم في شرع الله بلا علم، وويل لمن يتكلم في شرع الله فيكتم الحق وينشر الهوى مع علمه به.

فأقول: أولاً: أن الله أنزل شرعه لعامة الناس، ولم ينزله لفئة معينة وفي زمن محدد ثم ينتهي.

ثانياً: لفظ الآية عام صدر بالأمر بالقتال: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾. فالذين مفعول قاتلوا، وهو اسم موصول من أدوات العموم وصلته: ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾. فهذه الأفعال صفات للذين أمر الله بقتالهم.

ثالثاً: أين المخصص لهذا العموم بفئة معينة دون غيرها ممن هم داخلون تحت حيز العموم؟!!!

رابعاً: إن كانت لك مشاركة في العلم فتذكر ما قرره علماء الأصول في قولهم: العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فهذه الآية بلفظها وإن صح أن لها سبب فإن ذلك السبب لا يجعلها مخصصة به بل العبرة بعموم لفظها.

خامساً: إن كانت خاصة بنصارى الروم؛ فإن الأقباط في ذلك الزمن كانوا محكومين بدولة الروم، وهم من النصارى التابعين لدولة الروم، ولم تكن مصر عربية إلا بعد أن هاجر إليها العرب بعد الإسلام وسكنوها.

سادساً: هل نصارى الأقباط لا ينطبق عليهم الوصف ﴿لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾. إلى آخر ما جاء في الآية يعني: هل الأقباط يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ هل هم يحرمون ما حرم الله ورسوله؟ هل هم يدينون دين الحق وهو الإسلام؟ حتى تقول إن الآية لا تنطبق عليهم ولا تتناولهم بأوصافها.

سابعاً: وصف الله أهل الكتاب بهذه الأوصاف وهو وصف من عليم خبير قل أنتم أعلم أم الله؟!!!

ثامناً : إذا عُلِمَ هذا ، فالآية عامة في أهل الكتاب سواء كانوا يهوداً أو نصارى ، وسواء كانوا عرباً أو عجمًا ، وسواء كانوا محاربين أو مسالمين أو ذميين .

تاسعاً : إذا قَصُرَ المسلمون في حقوقهم ؛ فإن تقصيرهم لا يسقط تلك الحقوق ، إلا أن الواجب على كل من تكلم في الأحكام الشرعية أن يثبت الحكم الذي تكلم فيه عبودية لله ولا يراوغ أو يعمى أو يتخاذل متأثراً بالمؤثرات الخارجية . قال الله تعالى : ﴿وَأِنْ تَلَوْا أَوْ تَعْرِضُوا فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ .

عاشراً : أقول أن الله جعل لحكم القتال نهاية وهي قوله : ﴿حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ . أي : قاتلوهم حتى يذلُّوا ويؤدُّوا الجزية وهم صاغرون .

الحادي عشر : هل للآية مفهوم مخالفة؟ أي : هل هناك أحد من أهل الكتاب باق على دينه وكتابه ، وهو مع ذلك يؤمن بالله واليوم الآخر ويحرِّم ما حرَّم الله ورسوله ويدين دين الحق؟

الجواب : لا لو كان فيهم أحد متصف بهذه الصفات لدان دين الحق بدخوله في الإسلام وتصديقه للقرآن ونبي القرآن .

وقد بينت المهم من تمويهاات هذا الرجل هداانا الله وإياه وألهمنا رشدنا وأعاذنا من شر أنفسنا .



فصل

سبق أن نقلت عن مرشدي الإخوان ومنظريهم حسبما نشر في الصحيفة عنهم، قالوا بأنهم يقرّون حرية الاعتقاد الخاص وحرية إقامة الشعائر الدينية للأديان السماوية المعترف بها حسب زعمهم، وسبق أن قلت أن هذا أمر خطير جدًا من كل ما سبقه، لأنه يوجب كفر من قال به واعتقد جوازه من المسلمين.

ومقتضى هذا التعبير أنه يجوز لكل أحد أن يختار ما شاء من الأديان، فمن شاء دخل في دين الإسلام، ومن شاء دخل في دين اليهود، ومن شاء دخل في دين النصارى، ومن شاء دخل في دين المجوس، ومن شاء دخل في دين الهنادك، إلى غير ذلك، وأنه لا يجوز لأحد أن يعترض عليه أو ينصحه أو يعاقبه، فضلاً عن أن يستتبه ويحكم عليه بحد الردة، وهذا ما يقتضيه إطلاق هذه الجملة، بل وهذا الإطلاق يبيح له التنقل من دين إلى دين، فمرة يكون مسلماً، ومرة يكون يهودياً، ومرة يكون نصرانياً، وهكذا يجوز له التنقل إلى أديان مختلفة لا اعتراض عليه، وليس لأحد أن يحكم عليه بأنه مخطئ لأنه فعل ما يجوز له عند فئة وحزب الإخوان المسلمين، ولا يشك مسلم بسيط فضلاً عن متعلم أن هذا القول مخالف للكتاب والسنة وإجماع الأمة الإسلامية.

فأما مخالفته للكتاب فالله تعالى يقول: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾. ويقول: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾. ويقول: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢١٣﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾. ويقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ﴾. إلى أن قال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهَ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾.

وهذا يدل على أن محبة اليهود والنصارى وغيرهم من فئات الكفار، وتوليهم والتشبه بهم ومظاهرتهم على المسلمين، ودعوة المسلمين إلى ذلك، والنظر إليهم بعين الإكبار والإجلال، والنظر إلى المسلمين بعين الإهانة والاحتقار، كل ذلك موجب لسخط الله على فاعله وقد يؤدي بفاعله إلى الردة، وإن لم يعلن الدخول في دينهم، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. ويقول عز من قائل: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾. ويقول: ﴿وَمَنْ يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بُيِّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ تُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾.

والنبي ﷺ يقول: «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا كان من أهل النار»^(١).

وفي حديث حذيفة بن اليمان في الصحيح قال: «كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير وأسأله عن الشر مخافة أن يدركني، فقلت: يا رسول الله كنا في الجاهلية وشر فجاءنا الله بهذا الخير فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم، قال: فهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم، خير وفيه دخن، قال: وما دخنه؟ قال: قوم يستنون بغير سنتي ويهتدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر، قال: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قال: قلت: صفهم لنا. قال: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا»^(٢).

وأقول: من الدعاة على أبواب جهنم من يقول إن الناس أحرار في اعتقادهم لهم أن يعتقدوا ما شاءوا، ومن الدعاة على أبواب جهنم، من يبيح الشرك الأكبر، ويقر الوثنية ولا يرى فيها خروجاً عن الإسلام، ولا مناقضة له.

وكل ذلك موجود عند الإخوان المسلمين يعتقدون حله ويدينون به ويدعون إليه

(١) أخرجه مسلم (١٥٣) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) تقدم تخريجه.

كما سبق ، وكما سيأتي ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وأما مخالفته للإجماع ، فقال ابن عبد البر في كتابه (التمهيد) (ج ٥ / ص ٣٠٦) :
وفقه الحديث من ارتد عن دينه حلّ دمه وضربت عنقه والأمة مجتمعة على ذلك وإنما
اختلفوا في استتابته .

وحكى الإجماع على وجوب قتل المرتد ابن المنذر في كتابه (الإجماع)
ص (١٥٣-١٥٤) .

وحكى الإجماع على قتل المرتد ابن حزم في كتابه (مراتب الإجماع) بشروط ،
ارجع إليه إن شئت في باب (الإمامة وحرب أهل الردة) ص (١٢٥) .
والمهم أن علماء المسلمين أجمعوا على قتل المرتد وإن اختلفوا في بعض
الشروط لذلك .

وقد اشتهر الخلاف في مسألتين من مسائل حكم الردة وهي :

أولاً : الخلاف في قتل المرأة إذا ارتدت هل يجب قتلها كما يجب قتل الرجل؟!
فذهب الجمهور إلى أن المرتدة تقتل كما يقتل المرتد ، واستدلوا بعموم قوله ﷺ :
«من بدل دينه فاقتلوه»^(١) وهو حديث صحيح في صحيح البخاري ومسلم وغيرهما ،
واستدلوا أيضاً بعموم قوله ﷺ : «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب
الزاني ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه ، المفارق للجماعة»^(٢) ، فعموم (من) في
قوله : «من بدل دينه» ، وعموم التارك في قوله «والتارك لدينه المفارق للجماعة» تعم
الذكر والأنثى ويجعلون هذا الحكم في النساء مخصصاً بالردة إذ إنه قد صح عن النبي
ﷺ النهي عن قتل النساء في الحروب .

وقال أبو حنيفة : تحبس الحرة ويؤمر مولى الأمة أن يجبرها ، وبه قال الثوري في

(١) أخرجه البخاري (٣٠١٧) من حديث ابن عباس رضيهما .

(٢) أخرجه البخاري (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

حبس الحرة وأسندته إلى ابن عباس، وهو قول عطاء، وقال علي بن أبي طالب: تُسْتَرَق، وقال عمر بن عبد العزيز: تباع في أرض غير أرضها، وقول الجمهور هو الصواب لعموم الأدلة للذكور والإناث.

المسألة الثانية: اختلفوا في استتابة المرتد، هل يستتاب أم يقتل بدون استتابة؟ فذهب الجمهور إلى أنه يستتاب مستدلين بالأثر الذي صح عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أنه أتاه رجل من العراق فقال له: هل من مُغْرَبَةٍ خَبَر؟ فقال: نعم، رجل ارتد بعد الإسلام، قال: فما صنعتُم به؟ قال: قربناه فضرَبنا عنقه، فقال عمر رضي الله عنه: اللّٰهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِمَّا صَنَعُوا، هَلَّا حَبَسْتُمُوهُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ وَأَطَعْتُمُوهُ كُلَّ يَوْمٍ رَغِيْفًا وَسَقَيْتُمُوهُ مَاءً ثُمَّ اسْتَتَبْتُمُوهُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قَتَلْتُمُوهُ.

ونقل الحافظ ابن حجر في الفتح عن ابن بطال أنه قال: اختلف في استتابة المرتد فقيل: يستتاب فإن تاب وإلا قتل، وهو رأي الجمهور.

وقيل: يجب قتله في الحال، جاء ذلك عن الحسن وطاوس وبه قال أهل الظاهر.

قلت: قاله الحافظ ابن حجر ونقله ابن المنذر عن معاذ وعبيد بن عمير، وعليه يدل تصرف البخاري فإنه استظهر بالآيات التي لا ذكر فيها للاستتابة، والتي فيها أن التوبة لا تنفع وبعموم قوله ﷺ: «من بدل دينه فاقتلوه» وبقصة معاذ رضي الله عنه. اهـ.

قلت: أما كون البخاري لا يرى الاستتابة فهذا فيه نظر لأن الآيات الأولى وهي قوله تعالى: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾. إلى أن قال ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (١١٩) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيْمَانِهِمْ ثُمَّ أَزْدَادُوا كُفْرًا لَّنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ. والآية فيمن استمر على كفر حتى الموت، وكذلك سائر الآيات لا تقتضي منع التوبة عن من أرادها وطلبها، ولكن تقتضي العقوبة لمن كرر الكفر بخذلانه حتى يموت على الكفر فيستحق العذاب.

وأما قصة معاذ فخلاصتها: أن النبي ﷺ لما أرسل أبا موسى إلى اليمن، وأتبعه بمعاذ قدم معاذ على أبي موسى، فألقى له أبو موسى وسادة وقال: انزل فإذا رجل عنده موثق، قال: ما هذا؟ قال: هذا كان يهوديًا فأسلم ثم تهوّد -وفي رواية: ثم

راجع دينه السوء - قال : اجلس . قال : لا أجلس حتى يقتل ، قضاء الله ورسوله فأمر به فقتل . اهـ .

وقد استدل بهذه القصة من لا يرى الاستتابة ، ولكن بجمع طرق الحديث يتبين أنه ليس فيه دليل على عدم الاستتابة وفورية التنفيذ لأنه ذكر أنهم كانوا قد استتابوه من مدة قبل مجيء معاذ فأبى أن يعود إلى الإسلام ، وذلك فيما ذكره الحافظ في الفتح بقوله : ولأحمد من طريق أيوب ، عن حميد بن هلال ، عن أبي بردة قال : قدم معاذ بن جبل على أبي موسى فإذا رجل عنده فقال : ما هذا ؟ فذكر مثله وزاد : ونحن نريده على الإسلام منذ أحسبه شهرين . اهـ .

وقد ذكر ابن عبد البر الأثر ، عن عمر من طرق وفي بعضها أنهم جماعة . وروي عن علي بن أبي طالب أنه أتى بالمستورد العجلي وقد ارتد عن الإسلام فاستتابه فأبى أن يتوب فقتله ، وفي رواية : أنه عرض عليه الإسلام شهراً فأبى فأمر بقتله .

وقال ابن عبد البر : ولا أعلم بين الصحابة خلافاً في استتابة المرتد .

وفقه هذا الحديث : أن من ارتد عن دينه حل دمه وضربت عنقه ، والأمة مجتمعة على ذلك وإنما اختلفوا في استتابته ، فطائفة منهم قالوا لا استتابة على ظاهر هذا الحديث .

قلت : يعني مرسل زيد بن أسلم «من غير دينه فاضربوا عنقه» . وطائفة منهم قالوا : يستتاب بساعة واحدة ومرة واحدة ووقتاً واحداً . قال آخرون : يستتاب شهراً ، قال آخرون : يستتاب ثلاثاً على ما روي عن عمر وعثمان وعلي وابن مسعود . ولم يستتب ابن مسعود ابن النواحة وحده لقول رسول الله ﷺ : «لولا أنك رسول لقتلتك» قال له -يعني : ابن مسعود- : وأنت اليوم لست برسول ، واستتاب غيره .

والآن أعود إلى ما قرره الإخوان المسلمون على لسان مرشدهم مصطفى مشهور ومنظرهم من حرية الاعتقاد الخاص ، ومقتضى ما قرره أنه يجوز لكل فرد أن يعتقد عقيدة الإسلام إذا شاء ، وعقيدة اليهودية إذا شاء ، وعقيدة الإلحاد إذا شاء إلى غير ذلك وأنه لا يجوز لأحد أن يعترض عليه ، أو أن يحكم عليه بحد أو غيره ، ومقتضى

ذلك أيضًا أنه يجب أن نشطب على كتاب المرتد ونلغي حكمه من كتب الحديث والفقهاء لأنه لا فائدة لبقائه على ما قرره الإخوان .

فهل رأيت أخي المسلم إسفًا في الجهل والتهتك أشد من هذا الإسفاف؟!!!
وخروجًا على تعاليم الدين أشد من هذا الخروج؟!!!

ولعلمهم قالوا ذلك تأسيًا بالحلولي الملحد ابن عربي الذي يقول :
عقد الخلائق في الإله عقائدًا وأنا اعتقدت جميع ما عقده
ويقول :

لقد كنت قبل اليوم أنكر صاحبي إذا لم يكن ديني إلى دينه داني
لقد صار قلبي قابلاً كل صورة فمرعى لغزلان وذير لرهباني
وبيت لأوثان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن
أدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالدين ديني وإيماني
اهـ . من كتاب هذه هي الصوفية لعبد الرحمن الوكيل رَحِمَهُ اللهُ ص (٩٣) .

قال الوكيل رَحِمَهُ اللهُ تحت عنوان وحدة الأديان : آمنت الصوفية أن الله تَعَالَى عين خلقه هذه الأسطورة أسطورة وحدة الوجود استلزمت عند الصوفية الإيمان بوحدة الأديان سواء منها ما نسجته عناكب الأوهام أو افترته أساطير الخيال أو فارت به الشهوات أو ما أوحاه الله إلى رسله .

قلت : لو آمنوا بما أوحاه الله إلى رسله لم يقولوا بوحدة الوجود ولا وحدة الأديان ، وإنما أوقعهم في ذلك الجهل بما أوحاه الله تَعَالَى إلى رسله ، قال : ولهذا آمن الصوفية -سلفهم وخلفهم- أن الإيمان والتوحيد عين الكفر والشرك ، وبأن الإسلام على هداه وقدسيته هو عين الدين المجوسي في ضلاله ورجسه ثم أورد الأبيات السابقة لابن عربي وعزاها إلى شرح الفصوص لعبد الرحمن جامي ، والأبيات الأخيرة إلى ذخائر الأغلاق شرح ترجمان الأشواق لابن عربي . . .

إلى أن قال في ص (٩٦) : ولإيمان الجيلي بوحدة الوجود آمن بوحدة الأديان فقال :

وأسلمت نفسي حيث أسلمني الهوى وما لي عن حكم الحبيب تنازع
 فطوراً تراني في المساجد وراكعاً وإنني طوراً في الكنائس راتع
 إذا كنت في حكم الشريعة عاصياً فإنني في علم الحقيقة طائع

ويقول مفسراً لا إله إلا الله: يعني الآلهة المعبودة ليست إلا أنا فأنا الظاهر في تلك الأوثان والأفلاك والطبائع وفي كل ما يعبداه أهل كل ملة ونحلة فما تلك الآلهة إلا أنا، عزى الأبيات إلى إيقاظ الهمم شرح فصوص الحكم لابن عجيبة (١/ ١٤٣ ط ١٣٣١هـ).

وعزى التفسير لا إله إلا الله، إلى كتاب الإنسان الكامل للجيلي، وتراه يصوّب عبادة الأصنام، وعبادة الأفلاك لأن هذه الأشياء التي عبدت ما هي إلا ذات الله متعينة في تلك الصور مسماة بتلك الأسماء. اهـ. أي حسب زعمهم المعكوس المنكوس.

فتأمل قول الإخوان المسلمين في مصر بحرية الاعتقاد الخاص، وحرية التعبد، ووازن بين قولهم هذا وقول ملاحدة الصوفية بوحدة الأديان، ترى أن الإخوان المسلمين مقلدون لأولئك الملاحدة، ومقتبسون منهم ومقتفون آثارهم إلا أنهم غيروا العبارة فبدلاً أن يقولوا نؤمن بوحدة الأديان، قالوا: نؤمن بحرية الاعتقاد الخاص من أجل أن تختلف العبارة فلا يُنكر عليهم مع أن المعنى واحد، وهو أن الأديان كلها صحيحة فخذ ما شئت ودع ما شئت، وهذا أسلوب من أخبث أساليب المكر والتضليل والخداع لسليخ المسلمين من إسلامهم وإدخالهم في العقيدة النصرانية أو غيرها من العقائد المنحرفة الضالة، ولما لمس أصحاب الديانة النصرانية أن كهنة الصوفية يقولون بوحدة الأديان، طمعوا في استمالة قلوب المسلمين إليهم تحت مظلة وحدة الأديان، أو تقارب الأديان -سمّها ما شئت- والإخوان المسلمون يحسبون أنفسهم من الدعاة إلى الإسلام، وإذا قالوا بحرية الأديان لم يبق للدعوة إلى الإسلام معنى.

فصل

وجدت نشرة معنونة دعوى تقارب الأديان في العصر الحاضر للأستاذ حسين عبد الهادي المحاضر في الكلية قال فيها بعد حمد الله والصلاة والسلام على نبيه ﷺ: أما بعد:

فإن من أخبث أساليب الهجوم الذي يستهدف التطويق، ظاهرة الإسلام بالإسلام في هذا العصر، والمتمثلة في عقد المؤتمرات باسم التقارب الديني، يشترك فيها مسلمون، ونصارى، والمتأمل في سياسة الغرب الاستعمارية الموجهة إلى العالم الإسلامي، يجد أنها تتجه إلى إقناع المسلمين بالانحياز إليه ونسيان ماضيه المملوء بالخزي والعار، ولأجل هذا فإنه يحاول التقارب تحت اسم تقارب الأديان لمواجهة الخطر الشيوعي على حد زعمه، لكن إذا دققنا النظر جيداً في تأريخ الاستعمار الحديث، نجد أنه جند الدين لخدمة أهدافه ومآربه كما هو الملاحظ في المؤسسات التبشيرية المنتشرة في العالم الإسلامي.

ولما انكشفت أهداف هذه المؤسسات للمسلمين من خلال ما قامت به من نشر الفساد والضللال، أراد الغرب أن يحقق أهدافه تحت اسم جبهة إسلامية نصرانية متحدة وقد جند لذلك رجال الدين النصراني الذين وضعوا أنفسهم لخدمة الاستعمار باسم الدين.

كما جند أيضاً لهذا التقارب بعض المتسبين إلى العلم في أوساط المسلمين، وبداية هذه الفكرة كانت في أواخر القرن الميلادي السابق، وأول من تبناها هو الجانب النصراني متمثلاً في المبشرين ذوي الخبرة والتجارب، لكن الفكرة لم تلق تأييداً في البداية من الجانب الإسلامي وبخاصة الأزهر في مصر. اهـ.

انظر مجلة الأزهر المجلد السابع ص (٣٠١) وما بعدها.

لكن بعد محاولات استطاعوا إقناع الأزهر فاشترك في مؤتمر الأديان في بروكسل عام ١٩٣٦م وقد مثله الشيخ عبد العزيز المراغي فألقى في المؤتمر كلمة بين فيها رأي

الإسلام في التعاون والوفاق .

كما اشترك الأزهر بمندوب عنه هو الدكتور محمد عبد الله درّاز في مؤتمر الأديان في سنة ١٩٣٩م . ثم توقفت المؤتمرات لفترة لتعود من جديد في الخمسينات من هذا القرن على المستوى شبه الرسمي ، وبدافع من الضغوط السياسية واقعا تحت أسماء مختلفة مرة باسم التقارب الإسلامي المسيحي ، ومرة باسم التفاهم الإسلامي المسيحي وكل الطرق لا تؤدي إلى روما فحسب بل إلى الفاتيكان .

بدأت المؤتمرات تتوالى وهي على النحو التالي :

- ١- انعقد المؤتمر الإسلامي النصراني بدعوة من جمعية أصدقاء الشرق الأوسط الأمريكية في بحدون بلبنان عام ١٩٥٤م .
- ٢- في سنة ١٩٧٠م عقد مؤتمر للحوار في عجلون اشترك فيه ممثلون عن الإسلام والنصرانية والهندوكية والبوذية .
- ٣- في سنة ١٩٧٢م أقيم حوار إسلامي نصراني في برمانا بلبنان .
- ٤- في سنة ١٩٧٤م عقد المؤتمر الإسلامي النصراني الأول في قرطبة بأسبانيا .
- ٥- في سنة ١٩٧٥م عقد مؤتمر للحوار في تونس .
- ٦- في سنة ١٩٧٦م عقد مؤتمر للحوار بين الطرفين في ليبيا .
- ٧- في سنة ١٩٧٧م عقد المؤتمر الإسلامي النصراني الثاني في قرطبة بأسبانيا .
- ٨- في سنة ١٩٧٨م تم اللقاء بين وفد من الفاتيكان ووفد من علماء الأزهر برئاسة شيخ الأزهر عبد الحليم محمود في مكتبه ، وقد حضر هذا اللقاء سفير مصر لدى الفاتيكان مع أنه حوار ديني لا يدخل تحت اختصاصه ، ولكن اشتراكه يؤكد الطابع السياسي لفكرة الحوار نفسه . اهـ . ما أردت نقله .

وأقول : إن دعاة التبشير لما عجزوا عن إخراج المسلمين عن الإسلام دين الحق ، والحيفية والتوحيد ، الذي جاء وحيا من الله بواسطة الرسول الملكي جبريل عليه السلام إلى الرسول البشري محمد ﷺ كما قال جل من قائل : ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ . وقال أيضًا: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ .

أقول: لما عجز دعاة التبشير من النصارى عن إخراج المسلمين من دين الإسلام إلى دين النصرانية المبني على التخريف والتضليل والأساطير الكاذبة المتناقضة وأخفقوا في مساعيهم المبذولة من أجل ذلك والمدعومة بالجهد والمال ولم يحصل لهم شيء من مطلوبهم إلا شيء لا يذكر، عند ذلك أرادوا أن يخرجوهم من الإسلام ويدخلوهم في النصرانية بالمكر والخداع، تحت مظلة الحوار والتفاهم الديني والتعاون المعيشي وقد انطلقت هذه الترهات على بعض قادة المسلمين وعلمائهم ابتداءً من الأزهر الذي هو منارة العلم في ذلك الزمن، وهو القرن الرابع عشر فاشترك الأزهر في كثير من مؤتمراته، وفي القرن الحالي قد تبنى الدعوة إلى مؤتمرات الأديان أو حوار الأديان أو تفاهم الأديان، ومعناه أن يتنازل المسلمون عن شيء من عقائد دينهم، وتشريعاتهم الحقة، ليقتربوا من النصارى ويصيروا بذلك إخوة لهم، ولو كان ثمن ذلك اللعنة من الله على من فعل ذلك.

أقول: قد تبنى الدعوة إلى تلك المؤتمرات في الأديان الأخيرة الإخوان المسلمون في السودان، والإخوان المسلمون في الكويت، كما استراه في الفصلين الآتيين.

فصل

أهدى إلي أحد الإخوان السلفيين جزاءه الله خيرًا كتابًا بعنوان: تهافت الشعارات وسقوط الأقنعة لمؤلفه عبد العزيز بن شبيب الصقر.

الكتاب صغير الحجم ولكنه عظيم الفائدة لأنه يحوي حقائق عن الإخوان المسلمين، وإن كان الكتاب يتحدث عن الإخوان المسلمين في الكويت؛ إلا أن الإخوان المسلمين هم الإخوان المسلمون أينما حلوا وكيفما وجدوا؛ لأن التربية تربية واحدة والانطلاق من عقيدة واحدة، والقُدوة والأسوة هي قدوة واحدة ذلك لأن المؤسس واحد، والكيفية التي ربي عليها أتباعه واحدة، وهم يتداولونها، يتداولها خلفهم عن سلفهم وصغارهم عن كبارهم.

وكان سبب تأليف الكتاب هو أن أحد الإخوان المسلمون في الكويت [سألني] عن سؤال هذا لفظه : سمعت أن الإخوان المسلمين فيهم الأشعري ، والصوفي ، والسلفي ، منهم الإخوان المسلمين في الكويت؟!!

فأجاب قائلاً : الحمد لله رب العالمين الإخوة هنا في الكويت أنا أعلم وأقرب الناس إلى عقيدتهم هم على ما عليه السلف الصالح وهم من أهل الجماعة والسنة ، وليس بينهم منحرف في دينه أو في عقيدته ، وإنما ارتضيت أن أكون أنا عضواً في جمعية الإصلاح .

وقال في موضع آخر وهو يتحدث عن الإخوان المسلمين في الكويت : وبعدين من خلال المعايشة درست عقيدتهم ما وجدت فيهم منحرف ، ولا وجدت فيهم أشعري ، ولا وجدت فيهم ضال ولا ما جلست معهم -هكذا ولعل الصواب وإلا ما جلست معهم- ثم قال -أي : المؤلف- : والحقيقة أن هذا الكلام غريب جداً ، والأغرب منه أن يخرج على لسان رجل يدعي أنه درس عقائد الإخوان المسلمين في الكويت ، فإنه في هذه الشبهة التي ألقاها على مسامع الحضور كأنه يحاول إقناعهم بأن الإخوان المسلمين في الكويت على العقيدة السلفية ، وعلى ما عليه السلف الصالح ، فهل الإخوان المسلمون في الكويت هم على ما عليه السلف الصالح؟ وهم من أهل السنة والجماعة؟ كما ادّعى المحاضر وهل قوله بأنهم لا يوجد بينهم منحرف ، ولم يجد فيهم أشعرياً ، ولم يجد فيهم ضالاً ولا أدري إن كان صاحب هذا الادعاء جاهلاً بعقائد الإخوان في الكويت ، أم أنها الحزبية المقيتة والتعصب الأعمى للتنظيم ، وإن خالف الحق والصواب ، ولما قلبت النظر وأمعنت فيه وجدت أن هذه الدعوى ليست جديدة بل أنها ماضٍ جرّ إلى حاضر فقد قام قبل عدة أعوام أحد دعاة الإخوان المسلمين في الكويت أيضاً وألف كتاباً كان مما قال فيه : أن المنهج العقدي والفقه عند الإخوان هو منهج سلفي صرف لا غبار عليه ، وقد قيض الله له أحد الفضلاء فرد عليه وفنّد شبهه وأبطل دعواه في حينها ، وهو الشيخ محمد بن يوسف العجمي في كتابه البديع «وفقات مع كتاب للدعاة فقط» ومما يزيد الأمر سوءاً أن تتكرر هذه الادعاءات في وقت ظهر فيه انحراف الإخوان المسلمين ظاهراً جلياً لا يخفى على ذي عينين إلا من أعماه الهوى ، فكان لابد من كشف التلبيس وتوضيح

الحقائق، ووضع الأمور في نصابها الصحيح، ومما دعا إلى الكتابة حول هذا الموضوع؛ هو أن هذه المقولة لا يزال يردّها الكثير من المنتسبين لتنظيم الإخوان المسلمين؛ بل وأعظم من ذلك وأشدّ مرارة أن يردّ هذه المقولة الجائرة بعض المنتسبين للمنهج السلفي، فتجده دائماً يدافع عنهم ويردد بين طلابه وأصحابه أن الإخوان المسلمين في الكويت على العقيدة السلفية وهذا كلام جائر فارق الحق والصواب، ويعكس مدى جهل القائل بحقيقة دعوة الإخوان المسلمين وبعضهم يقولها لا جهلاً بالحقيقة ولكن لأهداف سياسية، مثل أنه لا يريد خسارة أصواتهم في الانتخابات، كما نطق بها أحدهم حيث قال: لو اتفق السلف والإخوان في الانتخابات لكانت النتائج مذهلة... إلى أن قال: وقد قمت بتقسيم هذا الكتاب إلى عدة فصول مبيّناً زيف هذه الدعوى وبُعدها عن الحقيقة من خلال الوقائع الحية والنقولات التي صدرت على ألسنة القوم فكانت الفصول كما يلي:

الفصل الأول: الإخوان المسلمون في الكويت عضو في التنظيم الدولي.

الفصل الثاني: منزلة الولاء والبراء من العقيدة.

الفصل الثالث: الإخوان المسلمون في الكويت والدعوة إلى التقريب بين الأديان - وهذا هو الذي في صميم ما نحن بصدده وسأنتقل إليه بعد قليل -.

الفصل الرابع: موقف الإخوان في الكويت من الرافضة.

الفصل الخامس: موقفهم من الصوفية.

الفصل السادس: موقفهم من الديمقراطية والقومية والعلمانية.

الفصل السابع: الثناء على أهل البدع والأهواء.

الفصل الثامن: آثار موالاة أهل البدع والأهواء.

الفصل التاسع: وشهدوا على أنفسهم.

إلى أن قال في صفحة (١٩): نشرت مجلة الوعي الإسلامي في عددها رقم (٣٥٤) الصادر في صفر ١٤١٦هـ وقائع المؤتمر العالمي حول الإسلام والتفاهم بين

مختلف الأديان والشعوب في العالم المتغير، والذي عقد في موسكو في الفترة من (٢٦ - ٢٩) ذي الحجة ١٤١٥ هـ وذلك بمبادرة من الإدارة الدينية لمسلمي الإقليم الأوربي لروسيا، ولجنة مسلمي آسيا المنبثقة عن الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية، التي يرأسها الدكتور عادل فلاح أحد المشاركين في هذا المؤتمر، كما كان من المشاركين أيضًا من الإخوان الكويتيين الدكتور محمد عبد الغفار شريف، والدكتور أيوب الأيوب، وقد ذكرت المجلة بعض التوصيات التي خرج بها المشاركون في المؤتمر وقبل أن نسوقها كان لابد من التنبيه على أمرين اثنين:

الأمر الأول: أن الدعوة إلى التقارب بين الإسلام والديانات الأخرى التي يقوم بها الإخوان المسلمون في الكويت ليست دعوة جديدة عمدوا إليها من تلقاء أنفسهم، ولكن هذه الدعوة لها جذور ممتدة منذ زمن حسن البنا مؤسس حزب الإخوان المسلمين، فقد جعلها أصلًا من أصول منهجه فهو الذي يقول: وليست حركة الإخوان موجّهة ضد عقيدة من العقائد أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف.

الأمر الثاني: حتى تعرف من هو المستفيد من هذا المؤتمر انظر إلى المكان الذي عقد فيه، لقد عقد هذا المؤتمر في موسكو عاصمة روسيا الشيوعية التي ترفع لواء (لا إله والحياة مادة) وفي الوقت الذي يقتل فيه الجنود الروس إخواننا المسلمين في الشيشان... إلى أن قال: وعودًا إلى المؤتمر والتوصيات التي صدرت عنه:

١- إن المؤتمر الذي ضم ممثلي جميع الأديان مستلهمًا قيمها نحو إيجاد مساحات أرحب للتفاهم والحوار والتعايش بين الشعوب.

٢- يستنكر المؤتمر في ضوء تعاليم الأديان السمحة جميع الحروب العرقية والطائفية في جميع أنحاء العالم.

قلت: وفائدة ذلك إن كان له فائدة بالنسبة لبعض المشاركين للقضاء على الجهاد الذي يدعي الإخوان المسلمون أنهم يقومون بواجبه دون غيرهم.

٣- يؤكد المؤتمر المبادرة العربية التي أعلنت في القاهرة سنة ١٩٩٠م بضرورة إخلاء الشرق الأوسط من جميع أسلحة الدمار الشامل وفي مقدمتها السلاح النووي.

- ٤- يؤكد المؤتمر ضرورة الحفاظ على القدس وصفها مهبط الأديان الثلاثة .
- ٥- يؤكد المؤتمر مبادرة الأزهر الشريف في تشكيل لجنة للوساطة ، من زعماء الأديان في العالم ؛ للتدخل في حل النزاعات الإقليمية والدولية في ضوء تعاليم الأديان السماوية وميثاق هيئة الأمم المتحدة .
- ٦- يناشد المؤتمر جميع المؤسسات الثقافية والتعليمية العمل على ترسيخ قيم الحوار والتعايش والتواصل بين الثقافات والأديان المختلفة .
- ٧- يوصي المؤتمر باستمرارية وجهات النظر وتأكيد روح الأخوة والتعاون بين المسلمين وإخوانهم من أتباع الديانات السماوية الأخرى ، كما يطالب المؤتمر بضرورة تشكيل أمانة عامة للمؤتمر ؛ لمتابعة تنفيذ توصيات وإنشاء مركز للدراسات التي تخدم قضايا التعاون والحوار والتفاهم بين أتباع الديانات السماوية الثلاثة .
- ٨- يدعو المؤتمر جميع الدول لأن توفر للأقليات أيًا كان انتماءها الديني حقها في ممارسة شعائرها الدينية ، والحفاظ على خصوصياتها الاجتماعية والثقافية .
- قال مؤلف الكتاب المذكور جزاءه الله خيرًا في (صفحة ٢٥): إذا تأملت التوصيات السابقة حق التأمل ؛ اتضح لك يقينًا مدى ما قدّمه الإخوان المسلمون من التنازلات الكثيرة لليهود والنصارى ، حتى جعلوهم في مقام العزّة ، وقد أذلهم الله ، وجعلوا المسلمين في مقام الذلّة وقد أعزّهم الله في قوله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُتَنَفِّينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فحسبنا الله ونعم الوكيل وإليه المشتكى .
- وأقول : إن حرية الاعتقاد فرية يتلقفها الإخوان المسلمون بعضهم عن بعض ، ويقلد فيها آخريهم أولهم وصغيرهم كبيرهم من أجل ذلك ومن أجل انصباغهم بصبغة الصوفية التي تؤمن بوحدة الوجود ، ومن ثمّ بوحدة الأديان ، كما سبق أن دلّلت عليه من قول شيخهم الأكبر وكبريتهم الأحمر محمد بن عربي ، ثم من أقوال سائر شيوخهم ، وعلى هذا فلا غرابة إن دعا الإخوان المسلمون في الكويت وفي السودان إلى مؤتمرات وحدة الأديان ، وإلى مؤتمرات تقارب الأديان ، واشتركوا فيها لأن هذه العقيدة الكفرية من عقائد الصوفية المنحرفة ، والصوفية في عقيدة شيخهم ومؤسس

حزبهم حسن البناء ، تربى عليه من الصغر وترعرع في أحضانها ، واختلطت بلحمه ودمه منذ نعومة أظافره حتى كان يحلم بشيخه في الطريقة الحصافية في النوم كما اعترف بذلك هو بنفسه في مذكراته ، وأن الإسلام وشريعته هي الدين الحق وكل دين سواه باطل فمن لم يعتقد هذا الاعتقاد فهو كافر حلال الدم والمال ، قال تعالى : ﴿ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ . وقال تعالى : ﴿ الرَّائِيكُ أَتَيْتُ الْكِتَابَ وَقَرَّانِ مُبِينٍ ﴿١﴾ رَبُّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْمَلُونَ ﴾ .

فهذه الآيات تدل على أنه ليس في الأرض دين يقبله الله ويرضى التبعده له به إلا دين الإسلام ، وأن من زعم أن دين اليهود ودين النصارى أديان سماوية يجوز التبعده لله بها بعد نسخها برسالة نبينا محمد ﷺ والتقرب إليه بعباداتها فهو كافر حلال الدم والمال ، وأنه يجب أن يستتاب فإن تاب وإلا قتل ، وقد أفتى بذلك الشيخ محمد بن صالح العثيمين -رحمة الله عليه- . كما نقل ذلك صاحب تهافت الشعارات وسقوط الأقنعة (ص ٢٧) فقال : قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين : إن الذي يجيز أن يكون الإنسان حر الاعتقاد يعتقد ما شاء من الأديان فإنه كافر بالله ﷻ يستتاب ، فإن تاب وإلا قتل وجب قتله . اهـ . (من فتاوى ابن عثيمين ٣ / ٩٩) .

وستأتي فتوى لهيئة كبار العلماء ؛ فتباً وسحقاً لهم ، ثم تباً وسحقاً لمن يسعى في عقد المؤتمرات لهذا الكفر الصراح ، وتباً وسحقاً لمن حضر هذه المؤتمرات أو أعان عليها وتباً وسحقاً لمن غاب عنها ورضيها وتباً لمن سمع بهذه المؤتمرات ولم ينكرها ويتبرأ منها .

فصل

أما الإخوان المسلمون في السودان ، فقد قاموا بدور أكبر ليوَفِّروا على دعاة التبشير ما كانوا يقومون به من جهد ومال ليخرجوا المسلمين من الإسلام ويدخلوهم في دين النصرانية ، فقام الإخوان المسلمون في السودان بقيادة الدكتور حسن بن عبد الله الترابي ، بما لم يستطع عليه المبشرون في عشرات السنين فعقد المؤتمرات

لوحدة الدين بين المسلمين والنصارى من أجل التعايش السلمي بينهم وألغى الفوارق، فأمر بسحب الدين من الهوية ليكون المسلم والنصراني سواء وأباح للنصارى أن يحاضروا في كليات البنات المسلمات، وأمر بأن يبنى في كل مكان من أماكن التجمعات مسجد وكنيسة ومعبد، ودعا أن يطبع القرآن والتوراة والإنجيل في غلاف واحد عنواناً على التسامح، فإننا لله وإنا إليه راجعون. وهأنأ أنقل باختصار ما وصل إليّ عن المؤتمرات التي عقدت في السودان بقصد الدعوة إلى توحيد الأديان ونشرت في وثائق والتي ترأسها ودعا إليها حسن عبد الله الترابي .

الوثيقة الأولى :

وقد انعقد المؤتمر مرة أخرى بموجب الوثيقة رقم (١) في صحيفة السودان الحديث بالعدد رقم (١٢٠٢) في ٢٩ / ٤ / ١٩٩٣م العناوين البارزة الترابي يحاضر الوفود المشاركة في مؤتمر الأديان وكان في المقال «عَوَّل الترابي كثيراً على علماء الدين المسيحي والإسلامي، ودعاهم إلى دور فاعل ومتعاضم من أجل إنقاذ البشرية وإرساء دعائم السلام وتوفير الطمأنينة للشعوب مؤكّداً أن العالم الحالي يتجه نحو التوحيد الديني بمختلف أشكاله، وهي رسالة ينبغي أدائها على الوجه الأكمل».

وأوضح الدكتور الترابي أن هذا المؤتمر يمكن أن يلعب دوراً فاعلاً ومؤثراً في توحيد الأفكار ومن ثم التوحيد على أساس إنساني بين الديانات كافة من أجل إسعاد البشرية . اهـ.

قلت : بل من أجل إشقاء البشرية وإضلالهم، إن من يرى من المسلمين أن توحيد الأديان بجميع أشكالها هو طريق السعادة كافر حلال الدم والمال يستتاب فإن تاب وإلا قتل؛ لأنه كذب الله في خبره حيث يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾

الوثيقة الثانية: اسم الصحيفة السودان الحديث العدد رقم (١١٢٧) بتاريخ الأربعاء ١٨ شعبان ١٤١٣هـ الموافق ١٠ فبراير ١٩٩٣م العناوين البارزة:

على شرف زيارة بابا الفاتيكان للسودان دعوة من أجل السلام والمحبة والعدل

قال: يصل سماحة الباب يوحنا الثاني للبلاد صباح اليوم في زيارة للسودان هي الأولى من نوعها في التاريخ السوداني، ويعتبر السودان ثاني دولة إسلامية يزورها البابا في أفريقيا بعد المغرب، ومن المؤمل أن يكون البابا هو الحكم الفصل والحاكم العدل بين المجتمع الدولي والسودان، إلى أن قال: ويتجه السودان الآن لعقد مؤتمر حوار الأديان في ٢٦ من أبريل المقبل وهو حدث لم يشهده أي بلد من بلدان العالم ويؤكد الوعي الرفيع الذي تتمتع به القيادة السياسية في البلاد -أي: السودان- . اهـ.

قلت: وأي وعي رفيع الذي تتمتع به القيادة السياسية في حرصها على المزج بين الأديان وتوحيدها؟؟!! لقد أضاع السودان -أو بالأحرى- لقد أضاعت قيادة السودان ممثلة في حسن الترابي وحزبه ومن سار سيرهم الإسلام، فهم يبحثون عنه بين ركام الأديان الباطلة فهل تراهم يجدونه أم لا؟؟ . .

إن الإسلام لا يصح إلا ممن اعتقده هو الدين الصحيح والمقبول عند الله ﷻ، وما سواه باطل ومردود غير مقبول قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ .

الوثيقة الثالثة: اسم الصحيفة: الإنقاذ الوطني، العدد (١٠٥٠) التاريخ:

٢ رجب ١٤١٣ هـ العنوان البارز:

وزير الإرشاد يفتح الأوقاف الإسلامية بجوبا ويتبرع للكنيسة الأسقفية بمائة ألف جنيه

قلت: نعوذ بالله من الخذلان... أموال المسلمين يتبرع بها وزير الأوقاف والإرشاد السوداني لبناء الكنيسة الأسقفية... أين الإسلام وما هي العقيدة التي تبيح ذلك مع أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يشترط على الذميين أنهم لا يجددون ما

رَمَّ من كنائسهم؟!

الوثيقة الرابعة: اسم الصحيفة الحديث تاريخ: الأحد ١١ ذو القعدة ١٤١٣ هـ الموافق ٢ مايو ١٩٩٣ م، عمود حديث الأحد، الكاتب: الأب القمص فليوثاوس مقرر مؤتمر الأديان، عنوان المقال:

التعايش الديني في السودان

يقول: اسمحو لي أن أقدم لكم ملاحظات على طريق التعايش الديني في السودان، لقد قدم عدة ملاحظات تبلغ إلى سبع عشرة ملاحظة.

الفقرة رقم (٨) البطاقة الشخصية في السودان تؤكد المواطنة السودانية وليس فيها ما يشير إلى دين المواطن.

الفقرة رقم (١٠) تبنى الكنائس بجوار الجوامع كنموذج للتعايش والتآخي والوحدة الوطنية.

قلت: فأين قول الله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ وقول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾.

الفقرة رقم (١٦): يقول الأب قمص المذكور: أقوم الآن بتدريس الدين المسيحي في بعض الجامعات وعلى الأخص كلية البنات الجامعية.

قلت: على الإسلام في السودان السلام، صوفية وتنصير ووحدة أديان وهذا لم يوجد إلا في عهد استيلاء الإخوان المسلمين ممثلًا في الترابي، وقد سمعت شخصًا من الدعاة المشهورين في السعودية من الحزبيين يقول: من أحب أن ينظر إلى الإسلام مطبقًا كما أنزل فليذهب إلى السودان.

الوثيقة السابعة: اسم الصحيفة: الإنقاذ الوطني، التاريخ الأحد ١٧ نوفمبر ١٩٩١ م قالوا في المؤتمر رئيس الوفد الياباني ملتقى الأديان في الخرطوم للحوار والصلاة من أجل السلام، السودان معبر السلام إلى أفريقيا.

الوثيقة الثامنة: الصحيفة: الإنقاذ الوطني، التاريخ ٢٥ ديسمبر ١٩٩١م العناوين:
الدكتور حسن مكّي . . . التعايش الإسلامي المسيحي في أحسن أوضاعه
ولا يأبى المزيد لا بد من كنيسة وطنية تروح لثقافة السلام وإشاعة المودة .
قلت: وهذه دعوة للتنصير، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

الوثيقة التاسعة: مجلة الملتقى، العدد رقم (٤) في ندوة الملتقى رؤية تاريخية
للسودان قال الدكتور حسن مكّي: ندعو لقيام الحزب الإبراهيمي ويقصدون بالحزب
الإبراهيمي جمع النصارى واليهود والمسلمين، والذين أشركوا والبوذيين في حزب
واحد، زاعمين أن هذه الأديان كلها تنسب إلى إبراهيم عليه السلام .
ونقول: قال الله ﷻ وهو أصدق قائل: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ
حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ .

الوثيقة الحادية عشر: اسم الصحيفة الحوار، العدد: (٢) التاريخ ٢٥ صفر
١٤١٤هـ ١٤ أغسطس ١٩٩٣م، العنوان البارز:

ديسكو إسلامي

الكاتب: حسين محمد أحمد، قال في مقال طويل وفيه: وعندما توليت أمر
مناشط الشباب في الحركة الإسلامية في الثمانينات حاولت أن أزج بالتنظير دينا
التطبيق فشرعنا في تكوين المسرح والموسيقى والفنون والصحافة وغيرها، وأذكر أنه
سألني صديق من رفقاء الدين (أي من حزبه) ساخراً أظنكم ستكونون فرقة للرقص بعد
ذلك، ورغم أنني كنت أعلم أنه يستخف مني ومن برامجننا بسؤاله، ولكن ردّي كان
جاداً وأكدت له أن الرقص قيمة جمالية وإنسانية وأن الرسول ﷺ وقف يروح عن نفسه
بمتابعة الرقص وخلفه أم المؤمنين عائشة تنظر حتى ملّت قدماها وكان خاتم الرسل
قوله: «دونكم يا بني أرفدة»^(١). اهـ.

(١) أخرجه البخاري (٩٥٠)، ومسلم (٨٩٢) من حديث عائشة رضي الله عنها .

قلت : إن قصد أن النبي ﷺ نظر إلى الحبشة وهم يلعبون بحرابهم ، وخلفه عائشة وقال لهم هذا القول ، فهذا في الصحيحين ؛ إلا أن لعبهم لم يكن رقصاً وإنما كان تدريباً على حمل السلاح وآلة الجهاد ، وإن قصد أن النبي ﷺ رقص وخلفه عائشة فهذا كذب على النبي ﷺ ، والنبي ﷺ يقول : « من كذب علي متعمداً فليتبوأ مقعده من النار »^(١) ، وأما أن الرقص قيمة جمالية ؛ فهذا باطل ، والرقص لا يعمل إلا ضعفاء الإيمان ، سفهاء الأحلام ، فمتى كان قيمة جمالية وإنسانية .

وأخيراً ، هذه شواهد مختصرة تدل أن مؤتمر وحدة الأديان أو حوار الأديان -أو سمه ما شئت أن تسميه- انعقد في السودان مرتين على الأقل ، مرة في عام ١٩٩١م ومرة في عام ١٩٩٣م وكان من نتائجه وآثاره السيئة على الدين الإسلامي وأهله ، أن ألغيت الفوارق بين المسلمين والمسيحيين ، فيعطي المسيحي بطاقة مساوية لبطاقة المسلم ليس فيها ما يدل على الدين ، ومعنى ذلك التساوي في الحقوق بين المسلمين والنصارى كما صرح به الإخوانيون في مصر ﴿أَتَوَاصُوا بِهٖ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ .

ثانياً : ومن آثاره السيئة اعتقاد أن الدين المسيحي صحيح ، كما أن الدين الإسلامي صحيح ، وأنه يمكن أن يصاغ منهما دين وسط وهذا كفر ، من فعله أو اعتقده جائزاً فهو كافر خارج من الإسلام مرتد عنه يستتاب فإن تاب وإلا قتل كفراً .

ثالثاً : ومن آثار هذه الدعوة السيئة أنهم مكّنوا للنصارى أن يدعوا إلى التنصير في صفوف المسلمين .

رابعاً : ومن آثارهما السيئة أن كل مسجد يبنى بجانبه كنيسة ، وهذا معناه دعوة للنصرانية ، والدعوة إليها كفر هم بالدين الإسلامي .

خامساً : ومن آثار هذه الدعوة السيئة التي تبناها الإخوان المسلمون في السودان أن دعا بعضهم إلى طبع القرآن الكريم مع التوراة والإنجيل في غلاف واحد ، وهذا ما أجاب عليه وحذر منه هيئة كبار العلماء وعلى رأسهم شيخنا عبد العزيز بن عبد الله بن باز حفظه الله وحفظ الجميع .

(١) أخرجه البخاري (١٠٧) ، ومسلم (٣) .

نص الفتوى نشر في جريدة المسلمون العدد ٦٤٦ في ١٥ صفر ١٤١٨ هـ بعنوان دعوات مشبوهة لطباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحدة قال فيها: وصلت للمسلمين رسالة من سماحة المفتي العام للمملكة العربية السعودية، ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء، الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز مشفوعة برد من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء على الطروحات التي تتعلق بقضايا وحدة الأديان وننشر فيما يلي الخطاب والفتوى: من عبد العزيز بن عبد الله بن باز إلى حضرة الأخ المكرم سعادة رئيس تحرير جريدة (المسلمون) وفقه الله.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد:

فقد كثرت في الآونة الأخيرة الأحاديث والندوات واللقاءات حول ما يسمى بوحدة الأديان أو التقريب بينها، ونظرًا لما في ذلك من مضادة لكثير من المفاهيم والتعليمات الإسلامية فقد أصدرت اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء الفتوى رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤١٨ هـ عن سؤال في ذلك أشفع لسعادتكم نسخة منه راجيًا التكرم بنشرها في الجريدة لديكم لعموم الفائدة وأسأل الله أن يوفقني وإياكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير إنه سميع قريب.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث

العلمية والإفتاء.

فتوى رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤١٨ هـ

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فإن اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء استعرضت ما ورد لها من تساؤلات،

وما ينشر في وسائل الإعلام آراء ومقالات بشأن الدعوة إلى «وحدة الأديان» دين الإسلام ودين اليهود ودين النصارى وما تفرع عن ذلك من دعوة إلى بناء مسجد وكنيسة ومعبد في محيط واحد في رحاب المطارات والجامعات والساحات العامة، ودعوة إلى طباعة القرآن الكريم والتوراة والإنجيل في غلاف واحد إلى غير ذلك من آثار هذه الدعوة، وما يعقد لها من مؤتمرات وندوات وجمعيات في الشرق والغرب، وبعد التأمل والدراسة فإن اللجنة تقرر ما يلي:

أولاً: إن من أصول الاعتقاد في الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، والتي أجمع عليها المسلمون، أنه لا يوجد على وجه الأرض دين حق سوى الإسلام، وأنه خاتمة الأديان، وناسخ لجميع ما قبله من الأديان والملل والشرائع، فلم يبق على وجه الأرض دين يتعبد به الله سوى الإسلام. قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾. والإسلام بعد بعثة محمد ﷺ هو ما جاء به دون ما سواها من الأديان.

ثانياً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام، أن كتاب الله تعالى (القرآن الكريم) هو آخر كتب الله نزولاً وعهداً برب العالمين، وأنه ناسخ لكل كتاب أنزل من قبل من التوراة والإنجيل والزبور وغيرها، ومهيمن عليها، فلم يبق كتاب منزل يتعبد الله به عبادة سوى (القرآن الكريم) قال الله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾.

ثالثاً: يجب الإيمان بأن التوراة والإنجيل قد نسخا بالقرآن الكريم، وأنه قد لحقهما التحريف والتبديل بالزيادة والنقصان كما جاء بيان ذلك في آيات من كتاب الله الكريم، منها قول الله تعالى: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِّيثَقَهُمْ لَعْنَهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلْسَةً يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا نَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَى خَآئِنَةٍ مِنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْهُمْ﴾. وقوله -جل وعلا-: ﴿فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُمُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾. وقوله ﷻ: ﴿وَإِنْ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ

وَمَا هُوَ مِنَ الْكَتَبِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ . ولهذا فما كان منه صحيحاً فهو منسوخ بالإسلام وما سوى ذلك فهو محرّف أو مبدّل، وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه غضب حين رأى مع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صحيفة فيها شيء من التوراة وقال -عليه الصلاة والسلام-: «أفي شك أنت يا بن الخطاب؟ ألم آت بها بيضاء نقية؟ لو كان أخي موسى حياً ما وسعه إلا اتباعي»^(١) رواه أحمد والدارمي وغيرهما .

رابعاً: ومن أصول الاعتقاد في الإسلام، أن نبينا ورسولنا محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء والمرسلين كما قال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ . فلم يبق رسول يجب اتباعه سوى محمد ﷺ ولو كان أحد من أنبياء الله حياً ما وسعه إلا اتباعه ﷺ وأنه لا يسع أتباعهم إلا ذلك كما قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا ءَاتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ .

ونبي الله عيسى -عليه الصلاة والسلام- إذا نزل في آخر الزمان يكون تابعاً لمحمد ﷺ وحاكماً بشريعته، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ .

كما أن من أصول الاعتقاد في الإسلام أن بعثة محمد ﷺ عامة للناس أجمعين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ . وقال سبحانه: ﴿قُلْ يَتَّخِذُهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ . وغيرها من الآيات .

خامساً: ومن أصول الإسلام، أنه يجب اعتقاد كفر كل من لم يدخل في الإسلام من اليهود والنصارى وغيرهم وتسميته كافراً، وأنه عدو لله ورسوله والمؤمنين، وأنه من أهل النار كما قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ

(١) تقدم تخريجه .

تَأْتِيهِمُ الْبَيْتَةُ ﴿١٣٤﴾ . وقال -جلّ وعلا- : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ﴾ . وغيرها من الآيات .

وثبت في صحيح مسلم أن النبي ﷺ قال : «والذي نفسي بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أهل النار»^(١) . ولهذا من لم يكفر اليهود والنصارى فهو كافر طردًا للقاعدة الشرعية ومن لم يكفر الكافر فهو كافر .

سادسًا : وأمام هذه الأصول الاعتقادية والحقائق الشرعية فإن الدعوة إلى وحدة الأديان والتقارب بينها وصهرها في قالب واحد دعوة خبيثة ماكرة ، والغرض منها خلط الحق بالباطل وهدم الإسلام وتقويض دعائمه ، وجراهم إلى ردة شاملة ومصادق ذلك في قول الله سبحانه : ﴿وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا﴾ . وقوله -جلّ وعلا- : ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَتَكُونُونَ سَوَاءً﴾ .

سابعًا : وإن من آثار هذه الدعوة الآثمة إلغاء الفوارق بين الإسلام والكفر والحق والباطل والمعروف والمنكر وكسر حاجز النفرة بين المسلمين والكافرين فلا ولاء ولا براء ولا جهاد ولا قتال لإعلاء كلمة الله في أرض الله ، والله -جلّ وتقدس- يقول : ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا يَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ . ويقول -جلّ وعلا- : ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ .

ثامنًا : أن الدعوة إلى وحدة الأديان إن صدرت من مسلم فهي تعتبر ردة صريحة عن دين الإسلام لأنها تصطدم مع أصول الاعتقاد فترضى بالكفر بالله ﷻ ، وتبطل صدق القرآن ونسخه لجميع ما قبله من الكتب وتبطل نسخ الإسلام لجميع ما قبله من الشرائع والأديان .

وبناء على ذلك فهي فكرة مرفوضة شرعًا محرمة قطعًا بجميع أدلة التشريع في

(١) تقدم تخريجه .

الإسلام من قرآن وسنة وإجماع .

تاسعاً : وتأسيساً على ما تقدم :

١- فإنه لا يجوز لمسلم يؤمن بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً الدعوة إلى هذه الفكرة الآثمة، والتشجيع عليها وتسليكها بين المسلمين فضلاً عن الاستجابة لها، والدخول في مؤتمراتها وندواتها والانتماء إلى محافلها .

٢- لا يجوز لمسلم طباعة التوراة والإنجيل منفردين، فكيف مع القرآن الكريم في غلاف واحد؟! فمن فعله أو دعا إليه فهو في ضلال بعيد لما في ذلك من الجمع بين الحق (القرآن الكريم) والمحرّف أو الحق المنسوخ (التوراة والإنجيل) .

٣- كما لا يجوز لمسلم الاستجابة لدعوة (بناء مسجد وكنيسة ومعبد) في مجمّع واحد لما في ذلك من الاعتراف بدين يعبد الله به غير دين الإسلام وإنكار ظهوره على الدين كله ودعوة مادية إلى أن الأديان ثلاثة لأهل الأرض التدين بأي منها، وأنها على قدم التساوي، وأن الإسلام غير ناسخ لما قبله من الأديان، ولا شك أن إقرار ذلك أو اعتقاده أو الرضا به كفر وضلال لأنه مخالفة صريحة للقرآن الكريم والسنة المطهرة وإجماع المسلمين، واعتراف بأن تحريفات اليهود والنصارى من عند الله تعالى، تعالى الله عن ذلك .

كما أنه لا يجوز تسمية الكنائس بيوت الله، وأن أهلها يعبدون الله فيها عبادة صحيحة مقبولة عند الله لأنها عبادة على غير دين الإسلام والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ . بل هي بيوت يكفر فيها بالله . نعوذ بالله من الكفر وأهله .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله تعالى- في مجموع الفتاوى (٢٢/ ١٦٢): ليست -أي: البيع والكنائس- بيوت الله وإنما بيوت الله المساجد؛ بل هي بيوت يكفر فيها بالله، وإن كان قد يذكر فيها فالبيوت بمنزلة أهلها وأهلها كفار فهي بيوت عبادة الكفار .

عاشراً : ومما يجب أن يعلم أن دعوة الكفار بعامة وأهل الكتاب بخاصة إلى

الإسلام واجبة على المسلمين بالنصوص الصريحة من الكتاب والسنة، ولكن ذلك لا يكون إلا بطريق البيان والمجادلة بالتي هي أحسن، وعدم التنازل عن شيء من شرائع الإسلام، وذلك للوصول إلى إقناعهم بالإسلام ودخولهم فيه أو إقامة الحجة عليهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة، قال تعالى: ﴿قُلْ يٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَۢمُ ٱلَّا نَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦٓ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ۝﴾. أما مجادلتهم واللقاء معهم ومحاورتهم لأجل النزول عند رغباتهم وتحقيق أهدافهم، ونقض عرى الإسلام ومعاهد الإيمان فهذا باطل يأباه الله ورسوله والمؤمنون، والله المستعان على ما يصفون، قال تعالى: ﴿وَٱحذَرُھُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أُنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَۚ﴾.

واللجنة إذ تقرر ذلك وتبينه للناس فإنها توصي المسلمين بعامة وأهل العلم خاصة بتقوى الله تعالى، ومراقبته وحماية الإسلام وصيانة عقيدة المسلمين من الضلال ودعائه والكفر وأهله، وتحذيرهم من هذه الدعوة الفكرية الضالة (وحدة الأديان) ومن الوقوع في حباثلها. ونعيز بالله كل مسلم أن يكون سبباً في جلب هذه الضلالة إلى بلاد المسلمين وترويجها بينهم. نسأل الله بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يعيذنا جميعاً من مضلات الفتن، وأن يجعلنا هداة مهتدين حماة للإسلام على هدى ونور من ربنا حتى نلقاه وهو راض عنا.

وبالله التوفيق وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

(الرئيس): الشيخ/ عبد العزيز بن باز (رحمة الله عليه)

(نائب الرئيس): الشيخ/ عبد العزيز آل الشيخ

(عضو): الشيخ/ بكر بن عبد الله أبو زيد

(عضو): الشيخ/ صالح بن فوزان الفوزان

وأخيراً؛ أسمعت أخي المسلم هذه الفتوى الرصينة العظيمة التي عليها نور الحق والهدى المبنية على كتاب الله وسنة رسوله وإجماع الأمة، النابعة من معدنها من جهابذة العلم وأساطين المعرفة ودعاة الخير بعض كبار علماء الدولة السعودية، دولة

التوحيد التي تحكّم شرع الله في محاكمها وتنشر دينه في أجيالها مستقى من النبع الصافي والسلسيل العذب وهو شرع الله المأخوذة من كتابه وسنة رسوله ﷺ وما درج عليه السلف الصالح من الصحابة والتابعين وأتباعهم في كل زمن من أئمة الهدى وقادة الخير إلى يوم القيامة، الذين ذكرهم نبي الهدى ذكرًا جميلاً، ووصفهم وصفًا عظيمًا فقال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحق لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم إلى يوم القيامة»^(١).

عليك أخي المسلم بهذه الفتوى فخذ بها وتثبت بها ولا يغرنك عن دينك الغرّارون المكارون، الذين يريدون سلب عقيدتك منك وإلقاءك في نار جهنم، وبالله التوفيق.

ويعلم الله أنني فرحت بهذه الفتوى حين نشرت لأنني كنت قد كتبت هذا الرد، ورغم أنني متأكد مما كتبت أنه حق ومما رددت عليه أنه باطل إلا أنني كنت أخشى الاتهام بالتسارع إلى التكفير، وهذه قالة يرددها كثير من الناس لاسيما من لهم تعاطف مع أصحاب المناهج المنحرفة من غير أن يتعبوا أنفسهم في البحث عن الحقائق هذان الله وإياهم، والمهم أنني فرحت بهذه الفتوى لأنها صدرت من قمم الفتوى والعلم وأيدت ما سطرته، فالحمد لله أولاً وآخرًا ولا يستغرب الشيء من معدنه كما قيل.

وأما قوله: وحرية إقامة الشعائر الدينية لجميع الأديان السماوية المعترف بها.

قلت: في هذا الكلام تمويه وإيهام وكأن اليهودية والنصرانية معترف بها في شريعة الإسلام وكأن الإسلام أقر هذه الأديان ولم ينكرها، والحقيقة أن الإسلام أنكر على أهل هذه الملل ما هم عليه من الباطل ودعاهم إلى الحق. وقد كتبت ردًا على هذا الزعم وخلاصته: أن دينهم ما بين باطل محرّف وحق منسوخ.

وأما إقامة دينهم المحرف فقد ترك لهم النبي ﷺ ذلك بشرط أداء الجزية التي فرضها الله ﷻ في كتابه فإذا أدّوها؛ فهم آمنون على دماءهم وأموالهم وملتهم بالشروط التي شرطت عليهم في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وليس ذلك إباحة من

(١) أخرجه البخاري (٣٦٤١)، ومسلم (١٩٢٠).

الإسلام ونبي الإسلام لدينهم الباطل ، ولا إقرارًا لما هم عليه من الكفر فافهم ذلك ، وإنما لأجل كف شرهم عن الإسلام والمسلمين وإذلالهم وإعطائهم الفرصة للتأمل لعلمهم يدخلون في دين الإسلام إذا عرفوه ولمسوا عدالته .

إن العبادة التي يزاولونها في كنائسهم ومعابدهم -إن صح تسميتها عبادة- فهي عبادة باطلة مردودة لا يعترف بها الإسلام ولا يقرهم عليها ، لأنها مبنية على ما في كتبهم والذي في كتبهم لا يخلو من أمرين إما باطل محرف وإما حق منسوخ .

لذا فإنه لا يصح أن تسمى شعائر ولا يقال أن الإسلام معترف بدينهم ولكن الله ﷻ جعل لهم فرصة الحياة إذا أدوا الجزية مهلة عسى أن يتوب منهم من يتوب وينيب ويرجع إلى الله ﷻ منهم من ينيب فإن أبوا جمع الله عليهم العذاب في الآخرة . قال تعالى : ﴿الرَّ تِلْكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَقُرْآنٍ مُبِينٍ ۝ رَبِّمَا يُؤَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ۝ ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝﴾ .

والآن سأعود إلى الكتاب الذي جاني من ذلك الصديق وضمنه رسالة المتصل المجهول .

فصل

وأما قوله : إن للشيخ مكانه كبيرة في قلوبنا ، نحن الشباب وكذلك في قلوب العامة باعتباره فقيهاً محدثاً ومفتياً آتاه الله من العلم ما يعلمه الجميع .

وأقول : أولاً : أني أحمد الله على ما وفق وأنعم ، وأشكره على ما هدى وعلم ويسر سبل العلم وفهم ، فله الحمد على كل ذلك حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه ، سهّل لنا سبل الهداية والدراية ووفقنا للدأب في التحصيل والعناية وإن كنت ألوم نفسي على الكسل والقصور والتقصير عن بلوغ الغاية وأسأله أن يثبتني على الحق حتى ألقاه وأن يجعل عملي خالصاً لوجهه خالياً من الشوائب والمحبطات نقياً من الرياء والعجب وجميع الآفات .

ثانياً : إذا كنتم تعلمون أن هذا الذي تخاطبونه وتريدون أن تشوهه عن النصيحة أعلم

منكم علمًا ، وأفقه منكم فقهاً ، وجميع أهل مجتمعكم يعودون إليه ويأخذون بفتاواه فلم تطلبون منه أن يسكت عن بيان ما في تلك المناهج الباطلة من أوجه البطلان تأمنون أنكم ربما تعاقبون على ذلك لأنكم ستكونون في عداد من يصدون عن سبيل الله؟!

ثالثًا : إن عليكم أن تعودوا إلى قوله وفتواه هو وغيره من علماء المنطقة وتركوا ما أنتم عليه من الحزبيات .

رابعًا : تأملوا قوله تعالى : ﴿ فَشَلُّواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ . وإذا كنتم قد أشكل عليكم أمر هذه الحزبيات أليس كان من الواجب عليكم أن تعودوا في معرفة ما احتوت عليه إلى علماء بلدكم ، فإن قنعتم بقول علماء بلدكم لأنهم أكبر منكم سنًا وأكثر منكم علمًا وأطول منكم ممارسة لعلوم الشريعة وأقعد منكم بمعرفة ما يناقضها فالحمد لله ، وإلا رجعتم إلى كبار العلماء في المملكة وأخذتم بقولهم وفتواهم .

خامسًا : اعلّموا أن الله ﷻ حينما أمركم أن تسألوا أهل العلم تضمن أمره هذا شيئين ، شيء يخص المسئولين فهو أنه يجب عليهم أن يبينوا الحق وقبل أن يقولوا يتبينوه بالبحث والتحقيق منه . وثانيًا : أن يقولوا الحق لا يحيدوا عنه يمنة ولا يسرة امتثالاً لقوله تعالى : ﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ ﴾ . وأما الشيء الذي يخص السائلين فهو أنه يجب عليهم أن يأخذوا بقولهم المؤيد بالدليل فإن تركوه بعدما علموه فإنهم يستحقون بذلك من الله ثم من عباده المؤمنين الذم والعقوبة ، قال الله تعالى : ﴿ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴾ .

سادسًا : وهأنتم قد عرفتم أن تلك المناهج قد احتوت على باطل كثير في الأصول والفروع ، فهل أنتم راجعون إلى الحق وعاملون به أم ماذا؟! !

سابعًا : فإن أبيتم فاعلموا أن الحزبية قد أصمتكم وأعمت أبصاركم ، أصمت أسماعكم عن سماع الحق سماع قبول ، وأعمت بصائركم عن رؤيته ، واعلموا أنه لا ينقذكم من هذه الورطة إلا أن تعودوا إلى الله ﷻ بجِدٍّ وتلجئوا إليه بإخلاص أن يبصركم الحق ويوفقكم للعودة إليه فاغتنموا الحياة قبل فوات الأوان .

فصل

أما قولكم: إلا أنه لوحظ في الفترة الأخيرة كثرة تركيزه على أسلوب الحديث عن الجماعات والأحزاب وما إلى ذلك مما لا يستفيد منه الشباب ولا يفهمه كثير منهم ولا من العامة.

وأقول: وما الذي يضيركم أن يتطوع بعض إخوانكم ببيان الحق لمن لا يعرفه أليس هذا من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي أمر الله ﷻ به عباده المؤمنين ووصفهم به وأثنى عليهم ومدحهم به في قوله: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾؟ أتريدون أن تُسَكِّتُوا الأمرين بالمعروف والناهين عن المنكر؟ أأؤمنون أن يعاقبكم الله على ذلك عقاباً تتمنون منه أن لو تكونوا أطعتموهم، تذكروا قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُولُوا بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَجْبَيْنَا مِنْهُمْ ۖ وَاتَّبَعَ الْذِينَ ظَلَمُوا مَا أَتَرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾. ومعنى هذه الآية أن النجاة لم تكتب إلا للبقية من أهل الخير على قلتهم بسبب كونهم ينهون عن الفساد في الأرض.

قال الشيخ السعدي في تفسير هذه الآية (٣/ ٤٦٨): لما ذكر الله تعالى إهلاك الأمم المكذبة للرسول وأن أكثرهم منحرفون عن أهل الكتب الإلهية وذلك يقضي على الأديان بالذهاب والاضمحلال.

ذكر أنه لولا أنه جعل في القرون الماضية بقايا من أهل الخير يدعون إلى الهدى وينهون عن الفساد والردى فحصل من نفعهم ما أبقى به الأديان، ولكنهم قليلون جداً وغاية الأمر أنهم نجوا باتباعهم المرسلين وقيامهم بما قاموا به ويكون حجة الله أجراها على أيدهم ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. إلى أن قال: وفي هذا حث لهذه الأمة أن يكون فيهم بقايا مصلحون لما أفسد الناس، قائمون بدين الله يدعون من ضل إلى الهدى، ويصبرون منهم على الأذى ويصبرونهم من العمى، وفي هذه الحالة أعلى حالة يرغب فيها الراغبون، وصاحبها يكون إماماً في الدين إذ جعل عمله خالصاً لله رب العالمين. اهـ.

سمعتم ما قاله هذا الإمام في تفسير هذه الآية ، وإذا كنتم لا تريدون أن تقوموا أنتم بهذه الحجة ولا تريدون أحداً يقوم بها فما هو حالكم وعلى أي شيء نحملكم فإن قلتم نحن نشتغل بالدعوة ، قلنا هذا حسن ولكن على منهج من تشتغلون بالدعوة؟ فإن كنتم تشتغلون بالدعوة على منهج النبي ﷺ فنحن والله الذي لا إله إلا هو نفرح بكم وندعو لكم ، وإن كنتم تشتغلون بالدعوة على بعض المناهج المخالفة التي ننصحكم منها وهذا ما يدل عليه قولكم هذا ، فنحن والله نأسف لذلك ولا نملك إلا أن نقول اللهم رد إخواننا إلى الحق رداً جميلاً وأعدهم إلى الصواب عوداً حميداً .

وأما قولكم : مما لا يستفيد منه الشباب ، ولا يفهمه كثير منهم ولا من العامة .

وأقول : هذه دعوى غير صحيحة فنحن نخاطب عرباً ولسنا نخاطب عجمًا ونخاطب عقلاء لا نخاطب مجانين ونخاطب متعلمين يفهمون ويعلمون ما في تلك الحزبيات من أخطاء ومخالفات للشرع الإسلامي والعقيدة السلفية الصحيحة ، ولكنكم لا تريدون أن يفهموا حتى تسيروهم على أهوائكم .

إنكم تفرضون على أتباعكم حصاراً ثقافياً ، فتمنعونهم من الحضور عند العلماء السلفيين ومن سماع دروسهم ومن أن يسألوهم عن تلك المناهج ، وعلامة ذلك تحذيركم من فلان وكتبه وفلان ونصائحه وأشرطته وفلان ودروسه فأشبهتهم بعملكم هذا أصحاب النحلة الصوفية ، وأصحاب النحلة الشيعية ، حين يفرضون على أبنائهم وأصحاب نحلته حصاراً ثقافياً يحذرونهم من كتب أهل السنة ويصفونها بأنها كتب زيغ وانحراف وأنها سم قاتل وموت حاضر ، ويحذرونهم من شيوخ أهل السنة ويصفونهم بأنهم أصحاب زيغ وانحراف ، فلا تجالسوهم ولا تسمعوا منهم ، وأنتم أخذتم من أصحاب هاتين النحلتين طريقتهم في التنفير عن الحق وترويج الباطل فتوبوا إلى الله وراجعوا عن الأخطاء التي أنتم عليها ، لا تحرموا أنفسكم ولا تحرموا أتباعكم من الخير ، وذلك بأن تجلسوا في دروس العقيدة ودروس الحديث والفقه ، حتى تروا الفرق بين ما أنتم عليه وما عليه أهل النهج السلفي ، والله الموفق .

وأما قوله : وهذا أسلوب لم يتبعه كبار علمائنا مثل عبد العزيز بن باز والشيخ

محمد العثيمين والشيخ صالح الفوزان، ونحن نعتبره من هؤلاء ومكانته لدينا مثل مكانتهم ولقد تتبعنا معظم أشرطتهم وكتبهم ومحاضراتهم فلم نجد إلا اليسير جدًا في هذا الموضوع حسبما تقتضيه الحاجة أو ردًا على الأسئلة في حدودها.

وأقول: أولاً: إن الله ﷻ أوجب على أهل العلم أن يبينوه للناس ولا يكتُمونه والبيان فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الآخرين إذا كان البيان الذي حصل كافيًا ومؤديًا وإلا لزم الباقيين البيان حتى تحصل الكفاية.

ثانيًا: نحن وهؤلاء المشايخ الذين سمَّيتهم وغيرهم، الكل مكلفون من الله أن نبين فمن أدَّى سلم من الإثم ومن قصَّر مع القدرة فإنه يناله من الإثم ما يناله بحسب تقصيره إلا أن سكوت الساكت لا يكون حجة على المؤدي يوجب عليه السكوت بل على ذلك الساكت أن ينظر هل تأدى الواجب بإنكار من أنكر أم لا؟ فإن لم يحصل الأداء وجب عليه أن يؤدي.

ثالثًا: وفي مثل حالنا هذا وهو أن يكون المنكر قليلًا والباطل كثيرًا؛ يجب على أصحاب العلم والقدرة أن يعاضدوا الذي أنكر المنكر، ويعينوه ويساعدوه حتى يقتنع الجميع ويتركوا المنكر هذا من حيث الحكم العام.

رابعًا: وأنا أقول أن هؤلاء المشايخ لم يسكتوا، فقد بينوا بإجاباتهم على الأسئلة فمثلاً الشيخ عبد العزيز بن باز سئل ونشر السؤال في الجزء الرابع من مجموع فتاواه (ص ١٣٦-١٣٧) قال السائل: ما واجب علماء المسلمين حيال كثرة الجمعيات والجماعات في كثير من الدول الإسلامية واختلافها فيما بينها حتى أن كل جماعة تضلل الأخرى، ألا ترون من المناسب التدخل في مثل هذه المسألة بإيضاح وجه الحق في هذه الخلافات، خشية تفاقمها وعواقبها الوخيمة على المسلمين؟

فأجاب الشيخ بقوله: إن محمدًا ﷺ بين لنا دربًا واحدًا يجب على المسلمين أن يسلكوه وهو الصراط المستقيم ومنهج دينه القويم بقول الله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. كما نهى رب العزة والجلال أمة محمد عن التفرق واختلاف الكلمة، لأن

ذلك من أعظم أسباب الفشل وتسليط العدو في قوله -جلّ وعلا-: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقوله تعالى: ﴿سَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾. فهذه دعوة إلهية إلى اتحاد الكلمة، وتآلف القلوب والجمعيات إذا كثرت في أي بلد إسلامي من أجل الخير والمساعدات والتعاون على البر والتقوى بين المسلمين؛ دون أن تختلف أهواء أصحابها فهي خير وبركة، وفوائدها عظيمة، أما إن كانت كل واحدة تضلل الأخرى وتنقد أعمالها فإن الضرر بها حينئذٍ عظيم والعواقب وخيمة.

فالواجب على علماء المسلمين توضيح الحقيقة ومناقشة كل جماعة أو جمعية ونصح الجميع بأن يسيروا في الخط الذي رسمه الله لعباده ودعا إليه نبينا ﷺ. ومن تجاوز هذا واستمر في عناده لمصالح شخصية أو لمقاصد لا يعلمها إلا الله، فإن الواجب التشهير به والتحذير منه ممن عرف الحقيقة حتى يتجنب الناس طريقهم وحتى لا يدخل معهم من لا يعرف حقيقة أمرهم فيضلوه ويصرفوه عن الطريق المستقيم الذي أمرنا الله باتباعه في قوله -جلّ وعلا-: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْتُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾. ومما لا شك فيه أن كثرة الفرق والجماعات في المجتمع الإسلامي مما يحرص عليه الشيطان أولاً وأعداء الإسلام من الإنس ثانياً، لأن اتفاق كلمة المسلمين ووحدتهم وإدراكهم الخطر الذي يهددهم ويستهدف عقيدتهم يجعلهم ينشطون في مكافحة ذلك العمل في صف واحد من أجل مصلحة المسلمين ودرء الخطر عن دينهم وبلادهم وإخوانهم.

وهذا مسلك لا يرضاه الأعداء من الإنس والجن، فلذا هم يحرصون على تفريق كلمة المسلمين وتشيت شملهم وبذر أسلوب العداوة بينهم، نسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين على الحق وأن يزيل من مجتمعهم كل فتنة وضلالة إنه ولي ذلك والقادر عليه.

وأما الشيخ صالح الفوزان فهو معروف بغلظته على أهل البدع، ونشاطه في الرد عليهم ومن ردوده البيان لأخطاء بعض الكتاب مجلد، وله ردود أخرى منها رده على

القرضاوي في كتابه الحلال والحرام إلى غير ذلك . هذه ردوده باستقلال ، وله ردود باشتراك مع لجنة الفتوى .

وأما الشيخ ابن عثيمين فلا يحضرني الآن شيء يخصه ولكنه قد حصل منه الإنكار على المبتدعة في الجملة وهو منشغل بأعماله التي قد التزمها من دروس وفتاوى ، وهي تستغرق وقته ، وبلغني أن له مواقف حازمة ومناصحات قيمة عندما اشتعلت الفتنة في القصيم بسبب دعاة الفكر الإخواني والفكر السروري .

وأما قلة كلامهم عن الأحزاب الحركية فهذا غير صحيح فلهم كلام كثير في محاضراتهم المسجلة لكنها محاصرة من قبل الحزبيين ، لا تنتشر ، ولهم محاضرات كثيرة لم تسجل وذلك بتأثير الحزبيين وتنفيرهم منها ، ويمكن أن يلتمس لهم العذر من وجهين :

الوجه الأول : قلة احتكاكهم بهم فهم بحكم عملهم لا يحتكون في هذه الأحزاب ولا أهلها ، فلذلك لم يكثر كلامهم في أصحاب الأحزاب الحركية .

الوجه الثاني : أنهم لكثرة ما يسند إليهم من أعمال لا يمكنهم التصدي لمثل هذا الأمر ولا التفرغ له ولا العناية به . بالإضافة إلى أنهم ربما اكتفوا بالإجابات على الأسئلة المقدمة لهم وإن كانت قليلة ، ومن أنكر هذه المناهج المبتدعة مرة فهو على إنكاره حتى يأتي منه ما يناقضه ونعيذهم بالله من ذلك .

أما نحن فبحكم احتكاكنا بهم وقربنا منهم وكثرة ما يعرض علينا من أعمالهم ، بحكم ذلك كله فقد ظهر لنا من سلبات حزبياتهم ما رأينا من خلاله أنه يتعين علينا أن نبينه لمن لا يعلمه ، والله من وراء القصد وهو بالمرصاد لكل عبد وقد قال - جل من قائل - : ﴿ إِنَّ رَبَّكَ لَبَالْمُرْصَادِ ﴾ .



نداء للمتأثرين بالحزبية الإخوانية والمتعاطفين معهم

أيها الإخوة لقد عرضنا لكم ما في هذا المنهج وما عند أصحابه من سلبيات كثيرة وسيئة إلى أبعد الحدود، فهل أنتم تائبون وعائدون إلى ربكم؟ هل أنتم راجعون إلى كتابه وإلى سنة نبيه وإلى منهج السلف الصالح؟! عباد الله إنه لا نجاة من عذاب الله إلا باتباع نهج نبيه وأصحاب نبيه - صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنهم - تذكروا أن النبي ﷺ قال في حديث الافتراق لما سئل عن الفرقة الناجية: «هم الذين على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي»^(١). فهل أنتم على مثل ما هم عليه في تحقيق التوحيد ومحاربة الشرك؟ هل أنتم على مثل ما هم عليه في متابعة السنن ونبد البدع ومحاربتها؟ هل أنتم على مثل ما هم عليه في طاعة الولاة وعدم منازعتهم والإثارة عليهم، وتأليب العامة ضدهم؟ هل أنتم على مثل ما هم عليه في عبادتهم لربهم ﷻ؟ هل أنتم على مثل ما هم عليه في التعامل والتراحم؟

أيها القوم؛ زنوا أعمالكم بميزان الشرع ميزان الكتاب والسنة وعمل سلف الأمة، وانظروا هل أنتم على الحق أو قد تركتموه أو تركتم بعضه؟ فإن كنتم على الحق حمدتم ربكم ﷻ الذي وفقكم وسألتموه الثبات عليه، وإن كنتم قد تركتموه أو بعضه راجعتم حسابكم اليوم قبل أن يفوت الأوان، تذكروا بأن الله تعالى سائل كل واحد منّا ماذا أحببتم المرسلين؟ وماذا كنتم تعملون؟!!

أيها الإخوة إنني أدعوكم دعوة ناصح لكم، مشفق عليكم أن تتخلّوا عن الحزبيات وتعودوا إلى رحاب الحق والسنة، فإن أبيتم فإن الموعد بيننا وبينكم بين يدي ربنا، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنه، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (٥٣٤٣).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

لربما قال قائل من أتباع الإخوان المسلمين في السعودية : كيف تؤاخذونا ونحن في السعودية بأخطاء غيرنا والله تعالى يقول : ﴿لَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ . والنبي ﷺ يقول : «هذا ابنك؟ قال : نعم . قال : أما إنه لا يجني عليك ولا تجني عليه»^(١) وإذا كان الأمر كذلك فكيف تحملوننا بأخطاء غيرنا وتتخذونه علينا حجة ، فنحن لا نرضى وحدة أديان ولا نقول بحرية اعتقاد ولا حرية تعبد ولا نجزى الأخذ بالقوانين وترك الشريعة؟

ونقول : نحن معكم في هذه القاعدة التي قررها الله ﷻ في كتابه وأخبر بها أنها مقررّة في كل كتاب أنزل وعلى لسان كل نبي أرسل فقال -جل من قائل- : ﴿أَمْ لَمْ يُنَبِّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ۖ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّىٰ ۖ أَلَا نَزَرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ۚ وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَىٰ ۚ ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الْأَوْفَىٰ﴾ . ولكن بشرط أن يتبرأ المسلم من المشركين والمبتدعين والمحدثين بأن يعلن براءته منهم وعداوته ومحاربتهم لهم ولما هم عليه من شرك وبدع وإحداث . قال تعالى : ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءُوكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ﴾ .

إلى أن قال ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ . وفي الأحاديث الصحيحة (٢/ ٢٣٠) رقم (٦٣٦) عن جرير بن عبد الله البجلي : «أبايعك على أن تعبد الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتنصح المسلمين وتفارق المشركين»^(٢) . وفي صحيح الجامع رقم (١٤٧٤) : «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين ظهري المشركين ، لا تراءى ناراها»^(٣) وقال : حسن ، وفي حديث

(١) أخرجه أبو داود (٤٤٩٥) ، والنسائي (٤٨٣٢) من حديث أبي رَمَثَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في صحيح الجامع (١٣١٧) .

(٢) أخرجه النسائي (٤١٧٧) ، وحسنه الألباني في السلسلة الصحيحة (٦٣٦) .

(٣) أخرجه أبو داود (٢٦٤٥) ، والترمذي (١٦٠٤) من حديث جرير بن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، وصححه الألباني في إرواء الغليل (١٢٠٧) .

ابن المنتفق: «وأن تزايل المشركين».

وأنتم لم تتبرءوا من أصحاب هذه المناهج بل أنتم متولون لهم سائرون على نهجهم وطريقتهم مدافعون عنهم وعن كل من في حزبهم فلذلك استحققتهم أن تُصنّفوا معهم وتعدّوا من أتباعهم لأنكم رضيتهم بكل ما قالوه وما فعلوه فمتى أعلنتم إنكاركم لما أحدثوه في الدين من إحداثات فظيعة يأبأها الدين وينكرها حتى العوام، ألم تسمعوا إلى الله ﷻ حيث يقول: ﴿وَلِيَحْمِلُوا أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَعَ أَثْقَالِهِمْ﴾.

ويقول: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالَُوا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٤﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزُرُونَ﴾. والنبى ﷺ يقول: «ومن سنّ سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة»^(١).

فما دمتم أنتم لم تنكروا ما في هذه المناهج من باطل، بل أنتم مقرّون بها مدافعون عنها وعن أصحابها، فأنتم مستحقون لأن يلحق بكم إثم ما في تلك المناهج من شرك وبدع وإحداثيات باطلة، يلحق بكم وزرها وعارها لأنكم خذلتهم الحق بعد أن عرفتموه وأيدتم الباطل ونصرتهم أصحابه بعد أن خبرتموهم؛ فبطلت بذلك حجتكم وضلت محجتكم حتى تتبرءوا من تلك المناهج ومما فيها من شرك وكفر وبدع وضلالات، اللهم إني أعوذ بك من ضلال الرأي وخطل القول وزيف القلوب وجنوح الهوى، اللهم أعذنا من مضلات الفتن اللهم ما كان في هذا الكتاب من حق فأنت ملهمه، والهادي إليه فلك الحمد على ذلك، وما كان فيه من باطل فهو مني ومن الشيطان فاغفره لي واهدني لاكتشافه وإخراجه من بين الحق الذي هديت إليه بفضلِكَ يا أرحم الراحمين ورب العالمين.

وصلّى الله على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً.

* * *

(١) أخرجه مسلم (١٠١٧) من حديث جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه.

الخاتمة

وفي النهاية لقد كانت نصيحة المتصل الذي ينصحي ألا أتكلم في الجماعات والأحزاب سبباً في البحث في واقع هذه الجماعات والأحزاب فازددت بما اطلعت عليه من حالهم، إما من كتاباتهم أو من كتابات غيرهم، ازدادت بذلك يقيناً إلى يقيني وقناعة إلى قناعتي أن ما هم عليه شر يجب أن يحارب، وباطل يجب أن يفند ويرد عليه ويشهر بأهله حتى يحذرهم الناس حين يعرفون الباطل الذي هم عليه، وإني لا أرى أحداً من أهل العلم يسعه السكوت عنهم بعدما عرف ما هم عليه من الباطل.

ويمكن تقسيم الملاحظات على الإخوان المسلمين على كثرتها إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ملاحظات توجب الكفر الأكبر وتخرج معتقدها من دائرة الإسلام وتوجب له الخلود في النار إن مات على ذلك وهي:

(١) وحدة الوجود في قول المؤسس:

الله قل وذو الوجود وما حوى إن كنت مرتاداً بلوغ كمال

فجميع ما في الكون إن حققته عدم على التفصيل والإجمال

فالحكم على ما في الكون من موجودات بأنها عدم على التفصيل والإجمال، وأن الموجود هو الله، هذه عقيدة أصحاب وحدة الوجود وهم المتوغلون في الصوفية ومن اعتقد هذه العقيدة كفر.

(٢) الشرك الأكبر المخرج من الملة في قول المؤسس:

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا وسامح الكل فيما قد مضى وجرى

لأنه أسند المسامحة وهي غفران الذنوب إلى النبي ﷺ وزعم أنه يحضر حفلاتهم ويغفر ذنوبهم، والله تعالى يقول: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ﴾ ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَىٰ مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾. استفهام إنكاري، أي: لا أحد يغفر الذنوب إلا الله، وهو ﷺ يقول

لأقرب الناس إليه: «اشترُوا أنفسكم من الله، لا أغني عنكم من الله شيئاً»^(١). فمن اعتقد أنه يملك المغفرة فقد كَذَّبَ الله في خبره وذلك موجب لكفره كفرًا يخرج من الملة ويخلده في النار إن لم يتب قبل موته.

(٣) حرية الاعتقاد الخاص كما سبق أن نقلته عن بعضهم، ورددت عليه وبيّنت أن ذلك كفر ونقلت من نواقض الإسلام للشيخ محمد بن عبد الوهاب -رحمة الله عليه- قوله: «من اعتقد أن أحداً يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ كفر» وكما نقلت فتوى بعض هيئة كبار العلماء بذلك.

(٤) الدعوة إلى وحدة الأديان كما فعله الإخوان المسلمون في السودان، فمن اعتقد أن أحداً من المسلمين يجوز له أن يترك دين الإسلام أو يخلط بدين النصارى ويجعل منهما مزيجاً يسمى وحدة دين بين الإسلام والنصرانية من أجل التصالح مع النصارى والتعايش السلمي معهم فقد كفر، وهذا ما أفتى به هيئة كبار العلماء وقرروا كفر من اعتقده أو دعا إليه.

(٥-٦) ويلتحق بذلك من دعا إلى بناء مسجد ومعبد وكنيسة في محيط واحد عنواناً على التسامح بين هذه الأديان أو دعا إلى طبع القرآن والتوراة والإنجيل في غلاف واحد مزجاً بينها وعنواناً على التسامح بين أهلها فقد كفر؛ لأنه كَذَّبَ الله في خبره واعتقد صحة هذه الأديان مساوية لصحة دين الإسلام وصحة عبادة أهلها كصحة عبادة المسلمين في مساجدهم وصحة كتبهم مساوية لصحة القرآن، وقد بيّنا فيما سبق أن التوراة والإنجيل ما كان فيها من حق فهو منسوخ وما كان فيها من باطل محرّف فهو باطل على اسمه باطل.

(٧) من اعتقد أن اليهود والنصارى ليسوا كفاراً فهو كافر، وقد نشر في جريدة الحياة المصرية في التاريخ المشار إليه سابقاً عن مصطفى مشهور والمنظرين في حربه أنهم قالوا في البند الثاني من الوفاق الوطني: لا نشغل بتكفير أحد ونقبل من الناس ظواهرهم وعلايتهم فنحن دعاة لا قضاة.

(١) تقدم تخريجه.

وأقول: إن كان هؤلاء امتنعوا عن تكفير النصارى الأقباط اعتقاداً منهم أنهم ليسوا كفاراً فهذا كفر؛ لأنه تكذيب لوصف الله لهم بالكفر في آيات كثيرة وإن كانوا قالوا ذلك مجاملة للأقباط أو خوفاً منهم مع اعتقادهم في قرارة أنفسهم أنهم كفار فهذه معصية كبيرة يجب عليهم أن يتوبوا إلى الله منها .

(٨) من اعتقد أن الشريعة الإسلامية مساوية للقوانين أو دونها فهو كافر وقال مرشد الإخوان في سوريا :

وخلاصة القول أننا لا نريد انقلاباً في قوانيننا الحالية ، وإنما نريد التقريب بينها في التشريعات المدنية ، وبين نظريات الإسلام الموافقة لروح العصر ولأصدق النظريات الحقوقية السائدة فيه ، فإذا اتفق التشريع الإسلامي مع النظريات الحديثة فهل تجدون حرجاً في الأخذ به تراثاً قومياً عربياً تعتزون به وتتفاخرون .

وأقول: إن مرشد الإخوان في سوريا مصطفى السباعي ؛ قد فضلَّ التشريعات المدنية على الشريعة الإسلامية ، وذلك أنه جعل للأخذ بالتشريع الإسلامي شرطان : الأول : أن يكون موافقاً لروح العصر .

والثاني : أن يكون التشريع الإسلامي موافقاً لأصدق النظريات الحقوقية السائدة في العصر ، وإذا اجتمع الشرطان فإنه يعرض على جماعته الأخذ بالتشريع الإسلامي عرضاً لا يلزمهم به إلزاماً .

فيقول : فإذا اتفق التشريع الإسلامي مع النظريات الحديثة فهل تجدون حرجاً في الأخذ به تراثاً قومياً ؟

وأخيراً ؛ فإنه يقرر بأنه ينبغي الأخذ به للاعتزاز والمفاخرة لا للعمل ، اللهم سلم سلم .

ملاحظات على الإخوان المسلمين

٩- قول التلمساني: ليس في دعاء الأموات شرك ولا وثنية، هذه الملاحظة تضم إلى الملاحظات المكفّرة التي تخرج من الإسلام؛ لأن ذلك تكذيب للآيات القرآنية التي تجعل من اعتقد ذلك مشركاً شركاً أكبر؛ كقوله تعالى: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنْكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

١٠- استغاثة مرشد الإخوان في سوريا بالنبي ﷺ ليشفيه من مرضه ومن استغاث بالنبي ﷺ زاعماً أنه يقدر على شفاء المرض فقد كفر كفراً يخرج من الملة وبهذا تكون الملاحظات المكفّرة في حق الإخوان إحدى عشرة ملاحظة.

١١- قول البنا ليس بيننا وبين اليهود عداوة دينية.

١٢- ترك الإخوان لمنهج الرسول المعصوم واتباعهم لمنهج من ليس بمعصوم.

١٣- عدم تطبيقهم للولاء والبراء.

١٤- تركهم التآسي بالخليلين إبراهيم ومحمد -صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين- في الولاء والبراء.

١٥- التنظيم الدولي للإخوان يحكم بالإسلام للرافضة دون الدولة السعودية.

١٦- جمع البنا بين الأخلاط المتضادة في حزبه، فهذا أشعري، وهذا معتزلي، وهذا جهمي إلى غير ذلك.

١٧- تقريره للقاعدة الباطلة «ويعذر بعضنا بعضاً فيما اختلفنا فيه».

١٨- أنهم يخصون بالعداء والبغض الموحدين دون غيرهم، ومن الأدلة على ذلك اجتماع فصائل الجهاد في الأفغان على قتال جميل الرحمن ومن كان معه من الموحدين.

١٩- دعوى الإخوان أنه ينبعث من أجساد قتلاهم ومن قبورهم رائحة المسك.

٢٠- الإخوانيون يستحلون الكذب لترويج منهجهم ونصر حزبهم.

- ٢١- دعوى عزّام أن القرآن لا يفتح أسرار له لفقير قاعد .
- ٢٢- ازدراء عزّام للعلماء السلفيين .
- ٢٣- قول من قال من الحزبيين أن أركان الإسلام ستة .
- ٢٤- تكفير بعضهم للمصلين الصائمين العابدين إذا لم يكونوا ثوريين .
- ٢٥- استخفاف الشيخ عائض بالعلم والعلماء إذا لم يكونوا ثوريين .
- ٢٦- إجازة الإخوانيين الخروج على الولاية المسلمين ، ومنازعتهم ما آتاهم الله من سلطان .
- ٢٧- أنه حين كتب ذم العلماء السلفيين كان تحت ولاية مجدي الذي يرى أن الكون يتصرف فيه جماعة من الأولياء يقال لهم المتصرفين .
- ٢٨- أن شرك مجدي في الربوبية تجاوز شرك العرب ، الذين قاتلهم رسول الله ﷺ واستحل دماءهم وغنم أموالهم وسبى نساءهم .
- ٢٩- زعم عزّام اتفاق الفقهاء على أن البيعة لا تنعقد لفاسق ، وأنه حين كتب ذلك كان تحت ولاية مشرك شركاً يزيد فيه على مشركي قريش .
- ٣٠- ما نشر في مجلة الإصلاح اليمنية من الاتفاق بين حزب الإصلاح اليمني وهم الإخوان المسلمون في اليمن وبين حزب البعث الاشتراكي اليمني أيضاً .
- ٣١- أن تولي الإخوانيين في اليمن للبعثيين دليل على عدم الولاء والبراء عندهم وأنهم دعاة سياسة لا دعاة دين .
- ٣٢- قول مرشد الإخوان في سوريا : والحكم بعد ذلك للشعب ، حيث جعل الشعب حاكماً والله تعالى يقول : ﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾ .
- ٣٣- قوله : أن الدساتير تعبر عن رغائب الشعوب .
- ٣٤- قوله : أن القواعد المتبعة في دساتير العالم أن رأي الأكثرية هو المتبع والمعمول به .

٣٥- زعمه أن الإسلام يحترم الأديان المنسوخة والمحرقة، وهي اليهودية والنصرانية.

٣٦- زعمه أن الإسلام ترك لليهود والنصارى حرية العقيدة.

٣٧- زعيم في اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا يفتي بدخول الجنة لليهود والنصارى إذا استقاموا على دينهم حسب زعمه.

٣٨- زعيم آخر من اتحاد الطلبة المسلمين في أمريكا يزعم بأن الإسلام يقر التثليث.

٣٩- زعمه أن المسلمين والمسيحيين متساوون في الحقوق والواجبات.

٤٠- تقريره إلغاء الفوارق على أساس الدين ليسوى بين المسلمين والنصارى.

٤١- سخرية المرشد للإخوان من رجال الدين وزعمه أنهم ببيع.

٤٢- تفضيلهم للقانون على الدين الإسلامي.

٤٣- قوله أن جعل دين الدولة الإسلام، ليس الغرض منه العمل بأحكام الشرع، ولكن لتكون النظم منفذة بدافع رוחي.

٤٤- زعم المرشد للإخوان في سوريا أن حد السرقة بقطع اليد لا يطبق إلا إذا شيع كل بطن واكتسى كل عارٍ ويقال هل الذين قطعوا في عهد النبي ﷺ كانوا كذلك.

٤٥- قول مرشد الإخوان في سوريا: نحن لا نفكر في تطبيق حدود.

٤٦- تصريح مرشد الإخوان في مصر بسقوط الجزية عن الأقباط لأنها لا تجب إلا على من حارب وليس الأقباط كذلك.

٤٧- تصريح مرشد الإخوان في مصر بأن الإخوان يقرون حرية الاعتقاد الخاص.

٤٨- إنهم يقرون حرية إقامة الشعائر الدينية.

٤٩- امتناعهم عن إطلاق اسم الكفر على الأقباط النصارى.

٥٠- زعم البهنساوي أن آية الجزية إنما نزلت في جيش الروم الذين وقعت معهم معركة مؤتة .

٥١- زعمه أن يهود المدينة لم يعاملوا بنظام الجزية .

٥٢- تلاعبه بالآيات حيث اقتطع بعضًا من الآية ليبطل به حكمًا شرعيًا مجمعًا عليه وهو الجهاد .

٥٣- زعمه أن الإسلام لم يأمر بقتال قوم لم يقاتلوا المسلمين ، ولا بقتال قوم للمسلمين معهم عهد ، ولا بقتال قوم لا عهد لهم ولكنهم وقفوا على الجهاد فلم يقاتلوا المسلمين .

٥٤- أن القول بحرية الاعتقاد إبطال حكم المرتد المجمع عليه من عصر الصحابة حتى الآن .

٥٥- أن الإخوان المسلمين يريدون أن يدلوا شرع الله بشرع من عندهم .

٥٦- أن القول بحرية الاعتقاد ورثه الإخوان المسلمون عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود ووحدة الأديان ، وذلك يبين ارتباطهم الوثيق بابن عربي وأمثاله من زنادقة الصوفية .

٥٧- أن وحدة الأديان التي دعى إليه الإخوان في الكويت والسودان هي وليدة وحدة الوجود وابنتها ، انظر هذه هي الصوفية (ص ٩٣) لعبد الرحمن الوكيل .

٥٨- اشتراك الإخوان المسلمون في الكويت في مؤتمر وحدة الأديان في موسكو .

٥٩- أن الإخوان المسلمين في السودان بقيادة التراي قد كفوا المبشرين من النصراني المؤنة بعقد المؤتمرات لوحدة الأديان أو حوار الأديان أو تفاهم الأديان أو غير ذلك .

٦٠- أن تفننهم في الأسماء لتلك المؤتمرات إنما هو كيد منهم للمسلمين ومكر منهم بهم ليخرجوهم من الإسلام إلى النصرانية باسم التفاهم السلمي والتعاون المعيشي .

الملاحظات على الترابي وهي ملاحظات على الإخوان لأنهم لم يتبرءوا منه ومما أعلنه من أعمال واعتقادات.

- ٦١- يرى أن الفكر الإسلامي العقدي يطرأ عليه التقادم وأنه يحتاج إلى تجديد .
- ٦٢- زعم الترابي أن النبي ﷺ ليس بمعصوم في الأخبار التي يخبرها بخصوص الدنيا ومن ذلك ما يتعلق بالطب .
- ٦٣- طعنه في آدم ﷺ وإبراهيم الخليل ﷺ .
- ٦٤- تكذيبه لنزول عيسى -عليه الصلاة والسلام- .
- ٦٥- زعمه أن العقل مصدر للتشريع ، واعتقاد هذا كفر بالشرع الإسلامي الذي قال الله ﷻ : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ .
- ٦٦- دعوته إلى تفسير جديد للقرآن وهذا معناه أنه هو وأضرابه أفضل من الصحابة والتابعين لأنه لم يرض تفسيرهم .
- ٦٧- دعوته لتجديد الفقه الإسلامي والفكر الإسلامي وأصول الفقه ، وكأنه يقول اتخذوني نبياً .
- ٦٨- إلغاؤه لحدِّ المرتد وزعمه أنه اجتهادي وليس توقيفياً .
- ٦٩- إلغاؤه لحدِّ رجم الزاني المحصن وتخفيف حد الخمر .
- ٧٠- دعوته إلى تجديد الإجماع والقياس .
- ٧١- دعوته للفن وزعمه أن في الجنة باباً للفنانين .
- ٧٢- عنايته بالمرأة وزعمه أن اختلاطها بالرجال هو الذي يقضي على الفتنة .
- ٧٣- خطبته في مؤتمر الأديان ، وزعمه أن إنقاذ البشرية وإرساء دعائم السلام وتوفير الطمأنينة .

٧٤- دعوته هو ومن معه أن يبنى في كل مكان من أماكن التجمعات مسجداً وكنيسة ومعبدًا .

٧٥- دعوتهم إلى طبع القرآن والتوراة والإنجيل في غلاف واحد، وقد رد مجلس كبار العلماء على هذه المزاعم وكفّر القائلين بها والداعين إليها .

٧٦- تمكينهم للقس النصراني بتدريسه النساء في الكلية، كلية البنات أي تدريسهن الدين النصراني .

٧٧- سحبهم للديانة من البطاقة الشخصية للمواطن السوداني حتى لا يكون له فضل على المسيحي، وزعمهم أن ذلك من التعايش السلمي بين المسلمين والمسيحيين .

٧٨- محاولتهم إسكات كل من يتكلم في حزبياتهم ويبين ما فيها من مثالب وسلبيات واتخاذهم عدوًا لهم .

٧٩- وهي الملاحظة الأخيرة، فرضهم حصارًا على أتباعهم من النظر في كتب السلفيين أو الجلوس إلى أحد من شيوخهم، وهذا يعتبر محاربة للحق ونصرًا للباطل وصدًا عن سبيل الله فأشبهوا بذلك من قال الله فيهم: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَنْ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنْ آهَدْتُمْ هُدَى اللَّهِ﴾ .

اللهم إنك تعلم إنني لا أريد الكلام في أحد، ولا تتبع عورة أحد، ولا تنقص أحد ولولا أن الإسلام هُضم حقه، واستُبيحت محارمه، واحتُلَّ حماه، وهيض جناحه ممن يزعمون أنهم دعاة وحماته والذائدين عنه فكان لزامًا عليّ وعلى أمثالي من طلاب العلم الذود عنه، وتصفيته مما علق به مما ليس منه ولولا ذلك ما كتبت حرفًا . إن الله أوجب على أهل الدين أن يحموه بالسيف: ﴿وَقَنِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾ .

والدفاع عن الدين بالكلمة والقلم وتصفيته مما علق به من باب أولى .

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا .

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
ترجمة الشيخ أحمد بن يحيى بن محمد بن شبير النجمي	٥
الرد الشرعي المعقول على المتصل المجهول	٣٧
بدء الجواب	٤١
لا سبيل إلى السكوت بعد معرفة ما في المنهج الإخواني من شرك وبدع	٤٣
فصل أغيظكم أن يُبين الحق؟	٤٦
إلى أي شيء نحن ندعو؟	٤٧
فصل ما هو الواجب على كل موحد؟	٤٨
فصل في الأدلة على كونهم ضد التوحيد	٦٠
شركه في الربوبية	٦٣
فصل في بيان منع الخروج على أولي الأمر	٧٣
قول سحنون رَحِمَهُ اللهُ	٧٧
القول بالخروج قول باطل ولا يعتمد على دليل	٧٧
على ما يدل اتفاق حزب الإصلاح في اليمن مع البعث	٧٩
هل نحن بحاجة إلى دساتير؟	٨١
القواعد الديمقراطية	٨١
هل النصرانية المحرفة دين سماوي؟	٨٣
تجاوزات الإخوان تعطيل للشريعة	٨٥
الرد على السباعي	٩٠
فصل في رد شبهات ألقاها سالم البهنساوي في مجلة المجتمع تحت عنوان	
(رأي)	١٠٢

على شرف زيارة بابا الفاتيكان للسودان دعوة من أجل السلام والمحبة	
والعدل	١٢٧
وزير الإرشاد يفتح الأوقاف الإسلامية بجوبا ويتبرع للكنيسة الأسقفية بمائة	
ألف جنيه	١٢٧
التعايش الديني في السودان	١٢٨
ديسكو إسلامي	١٢٩
فتوى رقم (١٩٤٠٢) وتاريخ ٢٥ / ١ / ١٤١٨ هـ	١٣١
نداء للمتأثرين بالحزبية الإخوانية والمتعاطفين معهم	١٤٥
الخاتمة	١٤٨
ملاحظات على الإخوان المسلمين	١٥١
الملاحظات على التراخي وهي ملاحظات على الإخوان لأنهم لم يتبرءوا	
منه ومما أعلنه من أعمال واعتقادات	١٥٥
فهرس الموضوعات	١٥٧